مدخل
لـــدراســـة
المـلل والنـحل

د.أحمد شوقي إبراهيم علي
المدرس بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه صلوات الله وسلامه عليه... وبعد،

فإن الإسلام دين البشرية جمعاء، يعتمد اعتمادا كليا على الحوار والإقناع، ويمنع التدليس والغش والإكراه، ويعمل برفق لتوضيح حقيقته للناس أجمعين، ليتحمل كل امرئ مسؤلية الإيمان أو الكفر به بعد البلاغ والبيان والتوضيح.

ومن سعة الإسلام وشمول منهجه وواقعيته إقراره الأديان السماوية السابقة، وجعله الإيمان بها جزءًا من الإيمان به، فنراه يكرم سائر الرسل عليهم السلام ويوجب عصمتهم.

ولهذا فإن دراسة الملل والنحل دراسة تاريخية وتحليلية مقارنة لهو أمر من صميم الفكر الإسلامي، وعمل أصيل من دراسة التراث الإسلامي.

وهذا البحث المعنون له بـ"مدخل لدراسة الملل والنحل" قصدت به أن يهئ الدارس لدراسة الملل والنحل، ويستعين به من يتغيا التوسع في دراسة هذه العلم والتخصص فيه قبل تعرضه للمقالات وللملل والنحل المختلفة، وقد حرصت فيه كل الحرص على سهولة العبارة ووضوح المقصد وسلاسة الأسلوب، وتناولت فيه أهم مصطلحات الملل والنحل؛ فذكرت معنى الملة، والنحلة، والدين، والمذهب، والعقيدة، والشريعة، والفرق بينهم، وتحدثت عن تصنيف الأديان، وفرقت بين الدين الوضعي والدين السماوي، ثم بينت وحدة الدين السماوي حيث ابتدأت الرسالة بآدم عليه السلام وختمت بالرسالة الخاتمة على يد سيدنا محمد ﷺ، وبينت في هذه الدراسة وجه الحاجة إلى دراسة علم الملل والنحل، وذكرت الأسس التي تقوم عليها دراسة الملل والنحل، ومناهج مفكري الإسلام في دراسته، وكيف أن علماء الإسلام كان لهم قصب السبق في دراسة هذا العلم حيث لفت القرآن الكريم نظرهم للاستفادة من هذا العلم، وتناولت حكم تعلم هذا العلم،

وحاجة الإنسان إلى الدين، وتناولت نشأة العقيدة الإلهية، وهل الإنسان في الأصل معدد أم موحد؟ وقد قمت بالرد على القائلين أن الدين مكتسب، وأثبت أن الإنسان متدين بفطرته، وأن التعدد أمر طارئ نتيجة تلوث الفطرة.

هذا، وقد جاء البحث على فصلين:

الفصل الأول: **التعريف ببعض المفاهيم الإصطلاحية لعلم الملل والنحل.**

المبحث الأول: التعريف بالملة.
المبحث الثاني: التعريف بالنحلة
المبحث الثالث: التعريف باالدين
المبحث الرابع: التعريف بالإسلام
المبحث الخامس: التعريف بالعقيدة
المبحث السادس: التعريف بالشريعة
المبحث السابع: التعريف بالمذهب

الفصل الثاني: مقدمات ومبادئ في علم الملل والنحل.

المبحث الأول: علم الملل والنحل نشأته وصورته
المبحث الثاني: من فوائد دراسة علم المِلل والنحل
المبحث الثالث: حكم تعلم علم المِلل والنحل
المبحث الرابع: حاجة الإنسان إلى الدين
المبحث الخامس: مناهج دراسة الملل والنحل
المبحث السادس: نشأة العقيدة الإلهية
الخاتمة.

أسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقت فيما أردت، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفصل الأول

التعريف ببعض المفاهيم الإصطلاحية لعلم الملل والنحل

- ✓ المبحث الأول: التعريف بالملة.
- ✓ المبحث الثاني: التعريف بالنحلة.
- ✓ المبحث الثالث: التعريف باالدين.
- ✓ المبحث الرابع: التعريف بالإسلام.
- ✓ المبحث الخامس: التعريف بالعقيدة.
- ✓ المبحث السادس: التعريف بالشريعة.
- ✓ المبحث السابع: التعريف بالمذهب.

المبحث الأول التعريف بالملة.

معنى الملة في اللغة:

الملة:الدين والسنة والطريقة المسلوكة.

ذكر صاحب لسان العرب في توضيحه لكلمة الملة واشتقاقها عدة معاني، فهى تطلق على " الشريعة والدين" وفي الحديث " لا يتوارث أهل ملتين"(١).

والملة: الدين كملة الإسلام، والنصرانية واليهودية، وقيل هي معظم الدين، وجملة ما يجئ به الرسل، وتملَّل وامتلَّ دخل في الملة، وفي التنزيل العزيز (حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (٢).

وقال أبو إسحاق الملة في اللغة: سنتهم وطريقهم، ومن هذا أخذ الملة أي الموضع الذي يختبر فيه لأنه يؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق

وقال كلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض. قال أبو منصور: ومما يؤيد قوله قولهم (طريق) مُمَل أي مسلوك معلوم (٣).

وفي القاموس المحيط يقال " مللته ومنه بالكسر: ملا وملة وملالة سئمته، كاستملته وأملني، والملة بالضم:الخياطة الأولى، وبالكسر: الشريعة أو الدين، وتملل وأمتل دخل فيها"(٤).

وأصل الملة في اللغة: الإستمرار والتكرار من قولنا طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل وهو تكرار الشئ على النفس حتى تضجرا"(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفرائض باب لا يتوارث أهل ملتين ج٤ ص٤٢٤ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط الحلبي ١٩٧٦م

(٢) سورة البقرة جزء من آية ١٢٠.

(٣) لسان العرب لابن منظور م٦ ص٤٢٧١ ط دار المعارف، وانظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١١٧

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي فصل الميم باب اللام ج٥ ص٥٢

(٥) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص١٨٢

وقد اختلف العلماء في اشتقاق لفظ الملة على أقوال هى :

القول الأول: قالوا الملة: سميت بذلك تشبيها بالطريق الحسي المسلوك كثيرا مدة طويلة حتى صار علما.

، يقال طريقٌ مُمَلٌّ: أي: أثَّر فيه المَشْيُ، قال الزمخشري في الأساس" :وطريق مملّ: معمل سلكوه كثيراً وأطالوا الاختلاف عليه، ومنه: أملّ عليه الملوان: طال اختلافهما عليه، ومنه: الملّة الطريقة المسلوكة"، قال الزجاج: والملة في اللغة: السنة والطريقه"وهي مجموع عقائد وأعمال يلتزمها طائفة من الناس ويدومون عليها مدة طويلة تكون جامعة لهم كطريقة يتبعونها.

القول الثاني: الاشتقاق من أمللت مأخوذ من الإملاء أي إملاء الكتاب ليكتب ؛لأن الشريعة تبتنى على متلو ومسموع، وفيها مَن يُمْلي ويُمْلَى عليه، فسميت الشريعة والسنة المتبعة والدين . ملة من حيث إنها تملى وتبين للناس لأن الرسول أو واضع الدين يعلمها للناس ويمللها عليهم.

قال ابن عاشور :و مِلَّةِ فعلة بمعنى المفعول، أي المملول، من أمللت الكتاب إذا لقنت الكاتب ما يكتب.

القول الثالث:سميت ملة لما فيها من تكرر قالوا والأصل فيه تكرر الأمر، من قولهم: طريق مُمَل ومليل، إذا تكرر سلوكه حتى توطأ و صار معلماً. ومنه الملل: تكرار الشيء على النفس حتى تضجر منه.

القول الرابع: قالوا أصله من المليلة :وهي حُمَّى تلحق الإنسان، فالملة مذهب جماعة يَحْمَى بعضها لبعض في الديانة أي يغضب وينتصر، ومنه الملة بالفتح موضع النار، وذلك أنه إذا دُفن اللحم وغيره تكرر عليه الحمي حتى ينضج.

القول الخامس: اصل الملَّة فِي الْعَرَبيَّة الملّ وَهُوَ أَن يعدو الذِّئْب على شَيْء ضربا من الْعَدو فسميت الملة مِلَّة لاستمرار أَهلهَا عَلَيْهَا.

معنى الملة في الإصطلاح:

ذكر الراغب الأصفهاني أن: "الملة كالدين: وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتواصلوا به إلى جوار ربهم "[1].

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٧١٦

وعرفها القرطبي بأنها " اسم لما شرعه الله تعالى في كتبه، وعلى ألسنة رسله"(١). كذلك عرفها الشهرستاني بما شرعة الله لعباده على لسان أنبيائه ورسله،أي تختص – في رأيه – بمن له كتاب سماوي محقق مثل: اليهود والنصارى والمسلمين، أو من له شبه كتاب مثل: المجوس والمانوية على ما يرى (٢).

لكن قد يرد هنا اعتراض بأن هذه التعريفات غير جامعة وغير مانعة، فالقرآن الكريم قد استعمل الملة على ما كان وحيًا من السماء، وعلى أنها معتقد للكافرين **فهناك ثلاثة إطلاقات للفظ الملة:**

الإطلاق الأول: تطلق على العقيدة الدينية للكافرين المعاندين قال تعالى(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**)(٣).

الإطلاق الثاني: تطلق "الملة" ويراد بها الدين الحق الحنيف الصحيح، فالإسلام عبر عنه ب"الملة" ملة (إبراهيم) قال تعالى (**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**) (٤).

وقال (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ*شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)(٥).

الإطلاق الثالث: تطلق على مطلق العقيدة، سواء أكانت صحيحة أم فاسدة، سماوية أم أرضية، إلهية أم بشرية ومنه جاء قوله ﷻ حكاية عن يوسف عليه السلام: (**إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٣٧ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**)(٦).

فهي هنا أطلقت على الاثنين معا، أو على ما يعتقده الإنسان مطلقًا سواء أكان صحيحًا أم فاسدًا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص٩١.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٥ وانظر يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د. رؤوف شلبي ص٦٧٠.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ١٣.
(٤) سورة النساء الآية ١٢٥.
(٥) سورة النحل الآيات من ١٢٠-١٢٣.
(٦) سورة يوسف: الآيتان ٣٧ – ٣٨.

فالملة في الاصطلاح تطلق على ثلاثة أنحاء:

الطريقة الصحيحة، الطريقة الفاسدة، وتطلق على الطريقة مطلقا: صحيحة كانت أم فاسدة [1].

لهذا يجب أن نقول إن الملة تطلق على ما يعتقده الناس مطلقًا سواء أكان هذا المعتقد صحيحًا أم باطلا، وحيا من السماء أم من أفكار البشر، فالملة في لغة القرآن تشمل الدين كله، سواء كانت له صلة بالوحي الإلهي، أم ليست له صلة، علمًا بأن الملة لم تأتِ في البيان القرآني مضافة إلى الله عز وجل، وإنما جاءت مضافة إلى البشر بما يشمل الدين الصحيح، والدين الفاسد أيضًا.

المبحث الثاني: التعريف بالنحلة.

تطلق النحلة في اللغة ويراد بها معان:

١- النحلة بمعنى **العطية:**

يقال: نحل فلان تبرع له بشيء، قيل: ومن هذا المعنى سمي ذباب العسل نحلاً.

قال الزجاج: وجائز أن يكون سمي نحلاً ، لأن الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها.

قال ابن الأثير: النحل بالضم العطية ، والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق.

قال الراغب الأصفهاني: والنحلة عطية على سبيل التبرع ، وهو أخص من الهبة إذ كل هبة نحلة ، وليس كل نحلة هبة.

١. ويطلق على **صداق المرأة** نحلة:

يقال: نحلت المرأة مهرها عن طيب نفس من غير مطالبة.

وقال الله تعالى: **(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)**[2]، فقولهم: نحل المرأة: أي أعطاها مهرها.

٢. وتطلق النحلة ويراد بها **الفريضة:**

(١) راجع اليهودية والمسيحية في ضوء الفكر الإسلامي د. عبد السلام محمد عبده ص٣٢.

(٢) سورة النساء من الآية٤.

وهذا على أحد تفسيرات النحلة في قوله: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) قال ابن منظور :وقد اختلف في تفسير هذه الآية فقال بعضهم: فريضة وقال بعضهم ديانة.

وقال بعضهم: هي نحلة من الله لهن ، جعل الله على الرجل الصداق ولم يجعل على المرأة شيئا من الغرم ، فتلك نحلة من الله للنساء.

٣. والنحلة النسبة والدعوة الباطلة: يقال: نحلة القول: أي أضاف إليه قولا قاله غيره وادعاه عليه، ونحل فلان القول نحلاً: أي نسبه إليه وليس بقائله، وانتحل الشيء ادعاه لنفسه وهو لغيره، ويقال انتحل فلان شعر فلان: أي ادَّعاه لنفسه وادَّعى أنه قائله.

٤. وتطلق النحلة تجوزا على الدين والمذهب: يقال: ينتحل فلان لمذهب كذا ، أي ينتسب إليه، جاء في المعجم الوسيط :انتحل فلان مذهب كذا: أي انتسب إليه ودان به، والنحلة الدين والعقيدة ، يقال ما نحلتك؟[١].

والذي يهمنا منها إطلاق النحلة على النسبة والدعوى الباطلة، وهذا هو الأصل فيها والمتعارف عليه عند العلماء في دراسة الأديان، فالنحل تعطف على الديانات والمذاهب الباطلة كما عنون لهذا ابن حزم في كتابه الفصل فقال: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، فعطف الأهواء على النحل. ويظهر هذا جليا عند الشهرستاني في كتابه الملل والنحل حيث قسم دراسته إلى قسمين:

القسم الأول: أهل الديانات والملل: مثل اليهود والنصارى.
والقسم الثاني: أهل الأهواء والنحل: مثل الفلاسفة والدهرية وعبدة الكواكب والبراهمة و غيرهم[٢] .

(١) راجع لسان العرب لان منظور م٦ج٤، ص٤٣٦٩، القاموس المحيط الفيروز آبادي ج٤ ص٥٥، المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٨٥، المعجم الوسيط ج٢ ص٩٠٧، مختار الصحاح ص ٥٥٩، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٥ ص٦٥.
(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١ص٤

أما النحلة في الاصطلاح:

تطلق النحلة في الإصطلاح ويراد بها " العقائد والمذاهب الفاسدة التي يخترعها الإنسان ويدعيها من نفسه دون سند صحيح من الوحي الإلهي.

وعلى هذا المفهوم لايمكن إطلاق النحلة على الأديان السماوية المعروفة، فلا يطلق على اليهودية أو النصرانية بأنها نحلة وإنما تسمى دين أو ملة

أما النحلة فتطلق على أقوال الفلاسفة والفرق المادية والفرق الخارجة مثل البهائية والقديانية وأمثالها "[١].

كذلك عرفت النحلة بأنها الأهواء والدعاوى التي اخترعها البشر وجعلوها لهم دينا ، وليس لها أصل سماوي.

كذلك عرفت بأنها: "إلحاق فرد أو جماعة بعقيدة معينة سواء أكانت تلك العقيدة دينية أو غير دينية، وسواء أكانت صحيحة أو غير صحيحة

وقد وضع علماء الغرب لهذه النحلة اصطلاحا فقالوا: النحلة يراد بها: مجموعة العقائد والعبادات والشعائر التي تخص شخصا بعينة"[٢].

هذا وقد اصطلح أهل العلم على تسمية الرسالات السماوية بالملل، وتسمية الأديان الوضعية التي هي من صنع البشر بالنحل، وفي ذلك نقرأ كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، أو (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم وغيرهما.

ومن أجل هذا فرقوا بين الكلمتين بفروق تُبين المعنى المراد، وإن كان الأمر كما علمت أن كلمة ملة تُطلق على الدين الصحيح والمحرف والباطل أيضًا، لكن من حيث الاصطلاح يمكن أن نقول: "الملة من عند الله، والنحلة من عند البشر، أو هكذا اصطلح عليها العلماء، ولكن هذا لا يرد ورود الملة بمعنى الدين الصحيح، والدين المحرف.

(١) أضواء على النصرانية تاريخها وعقيدتها د.طلعت غنام ص٩ دار الطباعة المحمدية.
(٢) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د. رؤوف شلبي صـ ٦٧، ٦٨.

ومن ثم فالملة تقابل النحلة في عدة أمور هى:

- ✓ أولا: الملة إلهية المنبع والنحلة بشرية.
- ✓ الملة مرتبطة برسول من عند الله معصوم، أما النحلة فتنسب إلى أشخاص يخطئون ويصيبون مهما بلغوا من المعرفة.
- ✓ الملة تتضمن دينا شاملا للعقيدة والشريعة،في حين أن النحلة لا تحتوي على هذا الشمول.
- ✓ الملة بها صلاح الدنيا،والنحلة قاصرة على الدنيا تقود بالأماني،وتغري بالمتعة المحدودة.
- ✓ الملة تنزل للناس بواسطة الوحي، وتُسَّنَد دائما لنبي مرسل، في حين تنتسب النحلة إلى شخص أو أشخاص عاديين فهى نتاج أفكار البشر واجتهادات عقولهم.
- ✓ الملة لها كتاب أنزله الله على رسوله، أما النحلة وإن سطرت في كتاب، فإنه كتاب أرضي لا كمال فيه، ولا قداسة له.
- ✓ الملة يُشهد لها بالمعجزة والإعجاز، والنحلة: يُشهد عليها بالعجز والقصور.

المبحث الثالث: التعريف بالدين.

الاشتقاق اللغوي لكلمة "دين":

عند النظر في معاجم اللغة نجد أن كلمة "دين" تدور حول الطاعة، الجزاء والمكافأة، الحساب،الإسلام،، الملة، التوحيد، الذل والاستعباد، الملك،السياسية، الحال، ما يدين به الرجل، السلطان، القهر، الورع، المعصية، الداء، العادة، العبادة، الغلبة، الاستعلاء، الحكم، السيرة، التدبير، القضاء، الإكراه، وأنه اسم لما يتعبد الله به...[1].

١ راجع لسان العرب لابن منظور، ج ١٧، ص ١٤٦٨، القاموس المحيط للفيروز آبادي ج ٤، ص ٢٢٦، ٢٢٧ مادة دين.

وقد خرج ابن فارس من هذا الحشد من المعاني لكلمه "دين" فقد ذهب إلى أن مادة "الدال، والياء، والنون" أصل واحد – فروعه كلها – وهو جنس من الانقياد والذل"[1].

والباحث المستقرئ لمادة الكلمة والمتتبع لها يجد أنها ترجع لاستعمالات ثلاثة حسب تعدي الفعل ولزومه **وبيانه** أن كلمة "الدين " تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه، وأنه يدينه، وتارة من فعل متعد باللام دان له، وتارة من فعل متعد بالباء دان به، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة على النحو التالي:

فإن كان متعديا بنفسه دانَه دينًا، فإن الدين يعني: المُلْك، والتصرف بما من شأنه السياسة والتدبير، والتحكم والقهر والسيطرة، وكل ما هو من هذا القبيل، نقول: دانَه دينًا بمعنى: ملكه، وقهره، وحكمه، وساسة، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجازاه، وكافأه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[2] أي يوم المحاسبة والجزاء، وفي الحديث "الكيس من دان نفسه" أي حكمها وضبطها، والديَّان: الحكم القاضي.

وإن كان متعديا باللام دان له، فإن الدين يعني: الخضوع والطاعة والعبادة، فإذا قلنا دان له، أردنا أنه أطاعه، وخضع له. وكلمة "الدين لله" يصح أن يُفهم منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله، وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له، دانه فدان له أي قهره على الطاعة فخضع له.

وإن كان متعديا بالباء دان بالشيء، فإن الدين يعني: الالتزام والاعتقاد والمذهب، واتخاذ الشيء دينا ومذهبا، فإذا قلنا: دان بالشيء، كان معناه: اتخذه دينا ومذهبا، أي: اعتقده، أو اعتاده، أو تخلق به.

ولا يخفى أن هذا الاستعمال الثالث تابع أيضا للاستعمالين قبله ؛ لأن العادة، أو العقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها، ويلتزم اتباعها[3].

---

١ معجم مقاييس اللغة لابن فارس، جـ ٢، ص ٣١٩.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٤.

(٣) راجع الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان.د. محمد عبد الله دراز ص٢٦ مكتبة المجلد العربي.

"وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمة "الدين" عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له.

أ- فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا.

ب- وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا، وحكما وإلزاما.

ج- وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها.

ويمكن القول: إن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد:

ففي الاستعمال الأول: الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني: هو اللتزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث: المبدأ الذي يلتزم الانقياد له.

ومن هنا نجد أن معنى اللزوم هذا هو المحور الذي تدور عليه كلمة "الدِّين" بفتح الدال وسكون الياء

والفرق بين "الدِّين" بالفتح، و"الدَّين" بالكسر هو أن الأول في الأصل يتضمن إلزاما ماليا، والثاني يتضمن إلزاما أدبيا" [١].

والذي نريد أن نقرره هنا هو أن الاستعمال الثالث هو ما يهمنا في هذا المقام وهو مناط بحثنا " فكلمة الدين التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لاغير

١- الحالة النفسية التي يسميها التدين

٢- الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة أو الرويات المأثورة.

ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادا أو عملا وهذا المعنى هو الغالب"[٢].

والدين مفرد، جمعه: أديان، يقال: دان بكذا، ديانة، وتدين به فهو دَيِّن، ومتدين.

مما تقدم يتضح لنا أن هذه المادة بكل معانيها أصيلة في اللغة العربية، وأن ما ظنه بعض المستشرقين [٣] – من أنها دخيلة، معربة عن العبرية، أو

---

(١) الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان.د. محمد عبد الله دراز ص٢٧ مكتبة المجلد العربي.

(٢) الدين:.د. دراز ص٢٨، وقارن أيضا أضواء على النصرانية تاريخها وعقيدتها د. طلعت غنام ص١١.

(٣) راجع: الدين د. دراز ص٢٨.

الفارسية في كل استعمالاتها، أو في أكثرها – بعيد كل البعد، فتصاريف الكلمة، وتعدد معانيها، وتشعب استعمالاتها لا يمكن أن يحدث للكلمة المعربة، ولعلها نزعة شعوبية تريد تجريد العرب من كل فضيلة، حتى فضيلة البيان التي هي أعز مفاخرهم.

معنى الدين في الاصطلاح:-

اشتهر عند العلماء المسلمين بأن الدين:-

"وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل"[١].

وعرفه أبي البقاء في الكليات بأنه "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبيا كان أو قالبيا كالاعتقاد، والعلم، والصلاة.

وقد يتجوز فيه فيطلق على الأصول خاصة فيكون بمعنى الملة"[٢]، وعليه قوله تعالى (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[٣].

"وقد يتجوز فيه فيطلق على الفروع خاصة"[٤] وعليه قوله سبحانه وتعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[٥].

ويقول الشيخ محمد عبده يقول عند تفسيره لقوله تعالى **(فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ)** [٦] "إن الدين هنا هو خلوص السريرة للحق وقيام النفس بصالح العمل وهو ما كان يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم وسائر إخوانه الأنبياء" [٧].

---

١ الدين د/ محمد عبد الله دارز، ص ٢٩.
٢ المدخل إلى دراسة الأديان تأليف د/ محمد بن فتح الله بدران ص ٦٣، ٦٤.
٣ سورة الأنعام، ١٦١.
٤ المدخل إلى دراسة الأديان، ص ٦٤.
٥ سورة البينة، ٥.
(٦) سورة التين آية ٧.
(٧) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص١٣١.

وعرفه الشيخ/ مصطفى عبد الرازق بأنه "الإيمان بأن الموجودات كلها ليست من نوع واحد ولا في مرتبة واحدة بعضها أسمى من سائر الأنواع، أو هو الإيمان بذلك بشرط أن يكون ملة تجتمع على الأخذ بها أمة من الناس"(١).

ويفرق الدكتور (محمد عبد الله دراز) بين نوعين من تعاريف الدين:

احدهما – ينظر إلى "الدين" من حيث هو حالة نفسية، بمعنى: التدين، فالدين عنده في ضوء هذه النظرة هو: "الاعتقاد بوجود ذات – أو ذوات – غيبية، علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشئون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد".

وبعبارة موجزة، هو: "الإيمان بذات إلهية. جديرة بالطاعة والعبادة"(٢).

والآخر – ينظر إلى "الدين" من حيث هو حقيقة خارجية، فالدين عنده في ضوء هذه النظرة هو: "جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها" (٣).

- ولابد لنا من الإشارة هنا إلى أن كلمة الدين في **اللغة** يصح أن تطلق على الدين الصحيح وغير الصحيح.

فكل ديانة تقوم على عبادة التماثيل، أو عبادة الحيوان، أو النبات، أو الكواكب، أو الجن، أو الملائكة، أو الأنبياء إلى آخره، فإنها تكون دينًا بمعناه اللغوي، وإن لم يمت إلى الدين الحق بصلة، ولم لا والقرآن قد سماها كذلك حيث يقول: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(٤)، ويقول: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (٥).

ولذلك صح جمعها لغة، فيقال: أديان، فهي تُجمع من حيث اللغة فقط، حيث ما ندين به ما نخضع له ونذل له، وما ندين به ما نعتقده؛ لذلك جمعت كلمة أديان لغة.

---

(١) الدين والوحي والإسلام تأليف الشيخ مصطفى عبد الرازق.
(٢) الدين د/ محمد عبد الله دارز ص ٤٩
(٣) الدين د/ محمد عبد الله دارز ص ٤٩ – ٥٠.
(٤) سورة آل عمران آية ٨٥.
(٥) سورة الكافرون آية ٦.

ولم يصح **شرعًا** لأنه دين واحد، كما قال ربنا الواحد: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}(١).

ولقد تعددت التعريفات الغربية للدين:

- فقد عرفه شيشرون في كتابة القوانين بأنه: الرباط الذى يصل الإنسان بالله
- وعرفه كانت في كتابه "الدين في حدود العقل": الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية.
- وعند شلاير ماخر: هو الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة.
- وعند روبرت سبنسر في كتابه المبادئ الأولية: الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية هو العنصر الرئيسي في الدين.
- وعند إريك فروم: مجموعة من الأفكار والأفعال الجماعية تمنح الأشخاص نظاما للتكييف وهدفا للعبادة.

وقد يكون أفضل هذه التعريفات ما ذكره الأب شاتل في كتاب "قانون الإنسانية" أن " الدِّين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: وواجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه" (٢).

وبالنظر في تعريفات الغربيين يتبين أنهم أرادوا فكرة الدين أوالاعتقاد بإطلاق، أو فكرة الخضوع والاتباع من حيث هي بغضِّ النظر عن مصدرها ومنهجها، ومدى صحتها، ومما لا شك فيه أن كثيرًا من الديانات الخرافية تنطبق عليها هذه التعاريف، ولا تخرج عن مقتضاها.

(١) سورة آل عمران آية ١٩.

(٢) راجع الدين د/ محمد عبد الله دارز ٢٤،٢٦، مجلة المسلم المعاصر العدد ١٩ سنة ١٣١٩هـ / ١٩٧٩م.

الفرق بين الدين والملة:

يفرق بين الدين، والملة بما يأتي:-

- ✓ أن الدين يطلق على ما يكون عليه كل فرد من متبعي الملة الواحدة.
- ✓ أن الدين تصح إضافته إلى الله ﷻ باعتبار أنه مصدره الآمر به، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم لظهوره منه، وكذلك تصح إضافته إلى المؤمن به لانقياده له ؛ فيقال دين الله، ودين محمد ﷺ، وديني ودين فلان.

أما

- ✓ الملة فتطلق على جملة الشرائع دون جزئياتها، فلا يقال الصوم ملة، أو ملة االصوم، لكن الدين يستعمل في جملة الشرائع وآحادها فيقال: دين الإسلام، ويقال الصوم دين.
- ✓ والملة تصح إضافتها إلى النبي الذي تسند إليه فيقال ملة محمدﷺ، وكذلك تضاف إلى الآباء والقوم، يقول الله ﷻ **(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** (١).

ويقولﷻ عن سيدنا يوسف عليه السلام { **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ**}(٢).

ولا تضاف الملة إلى الله ﷻ ولا إلى أفراد أمة النبي بخلاف الدين، فلا يقال: ملة الله ولا ملة فلان.

فالملة: تضاف إلى من أوحيت إليه، والدين: يضاف إلى من يعتنقه ويؤمن به، وعلى هذا فأحكام التوراة ملة هي ملة موسى عليه السلام، وأحكام الإنجيل ملة، هي ملة عيسى عليه السلام ؛ لأنها مجموعة الشرائع التي حملها موسى عليه السلام و(عيسى)عليه السلام، فالملة لا تطلق إلا على جملة الشريعة بخلاف الدين، وبناء على هذا فدين الله واحد هو الإسلام، ولكل نبي ملة هي شريعة الله الخاصة بقومه.

---

(١) سورة النحل آية ١٢٣.

(٢) سورة يوسف آية ٣٧، ٣٨.

- ✓ فالدين إذا أفرد أريد به الإسلام بخلاف الملة إذا أفردت فتكون بحسب السياق الذي جاءت فيه.
- ✓ كذلك فالدين خضوع وانقياد وعبادة وتسليم، أما الملة فطريقة وسنة واتباع
- ✓ كذلك الدين ما فعله العباد عن أمره تعالى، والملة ما دعا الله عباده إلى فعله(١).

قال الراغب الأصفهاني:"والفرق بينها – أي الملة –وبين الدين: أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي ﷺ الذي تستند إليه نحو: ﴿ **اتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾(٢)، ﴿ **وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي** ﴾(٣)، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله، ولا إلى آحاد أمة النبيﷺ ، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها، لا يقال: ملة الله، ولا يقال: ملتي وملة زيد كما يقال: دين الله ودين زيد، ولا يقال: الصلاة ملة الله... وتقال الملة اعتبارا بالشيء الذي شرعه الله، والدين يقال اعتبارا بمن يقيمه إذ كان معناه الطاعة"(٤).

وقال أبو هلال العسكري في الفروق: الفرق بين الملة والدين: أن الملة اسم لجملة الشريعة، والدين اسم لما عليه كل واحد من أهلها ألا ترى أنه يقال فلان حسن الدين ولا يقال حسن الملة وإنما يقال هو من أهل الملة(٥)

ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض العلماء –ومنهم الإمام الشهرستاني كما ذكرنا في تعريفهم للملة – قصروا استخدام لفظ الملة على الملة الصحيحة (من له كتاب سماوي، أو من له شبه كتاب) دون غيرها، وذكرنا أن هذا معارض باستعمال القرآن لكن قد يعتبر هذا اصطلاحًا خاصا بهم ولا مشاحة في الاصطلاح.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٧١ ، وانظر روح المعاني للألوسي ج١ ص٤٨٨، الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص١٨٢، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج٢ص١٤١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص٩٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٧١ ، وانظر روح المعاني للألوسي ج١ ص٤٨٨

(٥) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص١٨٢

تصنيف الأديان

يمكن أن تصنف أديان العالم عدة تصنيفات بحسب الإعتبار:

- منها ديانات سماوية كتابية، وديانات وضعية.
- منها التصنيف الجغرافي:

فهناك الأديان التي وجدت في المنطقة العربية وهى اليهودية والنصرانية والإسلام.

وهناك أديان نشأت في آسيا مثل الهندوسية، والبوذية والجينية، وأديان الصين ذات الطابع الفلسفي وهى الكنفشيوسية والطاوية، وديانات اليابان مثل الشنتوية، وغيرها من المناطق الجغرافية.

- ومنها ديانات توحيدية، وغير توحيدية.
- ومنها ديانات عالمية مفتوحة يعتقد أتباعها أنها موجهة لجميع البشر مثل الإسلام، والمسيحية والبوذية، وديانات غير عالمية مغلقة على الجنس مثل اليهودية، أو على الجغرافيا مثل الهندوسية.
- ومنها ديانات كبرى وصغرى حسب عدد أتباعها
- ومنها ديات حية لازالت موجودة لها أتباع في وقتنا هذا، وديانات مندثرة ميتة بائدة ليس لها أتباع الآن.

وسوف نفصل القول في تصنيف الأديان باعتبارها سماوية أو وضعية

أولا: الدين السماوي:

وحي الله – سبحانه وتعالى – إلى أنبيائه ورسله من لدن آدم إلى سيدنا محمد صلى الله تعالى عليهم وسلم أجمعين.

فهو تعاليم إلهية من وحي الله تعالى، وإرشادات سماوية من لدن العليم الخبير بنفوس العباد وطبائعهم، وما يحتاجون إليه في إصلاح حالهم في المعاش والمعاد، والدنيا والآخرة؛ إنه مجموعة التعاليم والأوامر والنواهي، التي يجيء بها رسول من البشر أوحى الله تعالى بها إليه، وفي مقدمتها: الإيمانُ بخالق واحد موجه لهذا الكون، لا شريك له في ملكه، يجب صرف العبادة كلها إليه والخضوع له، والتذلل لهذا الإله الخالق الرازق، ووجوب إفراده وحده العبادة، والإيمان باليوم

الآخر، والحساب والجزاء، وبالثواب في الجنة والنعيم المقيم، أو النار والعذاب الأليم.

ومن خصائص هذا الدين أنه إلهي المصدر فلا يد لغير الله فيه أياً كان هذا الغير، حتى الأنبياء والرسل أنفسهم لا دخل لهم في موضوع الدين المنزل عليهم.

فكل ما يأتي به النبي إنما هو من عند الله يتولى النبي ﷺ تبليغه إلى الناس، دون أن يزيد فيه، أو ينقص منه.

قال تعالى عن النبي ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١).

والدين السماوي واحد هو الإسلام، أرسل الله به كل رسله وأنبيائه إلى خلقه، وفي إطار الدين الواحد جاءت رسالات الرسل من أمثال سيدنا موسى، وسيدنا عيسى عليهم الصلاة والسلام، فالرسالات السماوية دينًا واحدًا في صورة رسالات متعددة، وليست أديانًا متعددة أو مختلفة، وإن وقع الاختلاف فهو تنوع لا تضاد يقع في الشرائع، وليس في المعتقدات، وفي الفروع وليس في الأصول.

١- ركائز (عناصر) الدين السماوي:-

يشتمل الدين السماوي الحق على عدة ركائز التي إن اجتمعت كان الدين حقا وإن فقدت ركيزة منها كان الدين باطلا.

وهذه الركائز هي:-

أ- المصدر: فمصدر الدين الحق هو الله – سبحانه وتعالى –

قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }[٢].

{ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا }[٣].

---

(١) سورة النجم: الآيتين: ٣ –٤.

٢ سورة التوبة آية ٣٣.

٣ سورة النساء آية ١٦٣.

ب- الموحى به (الكتاب):

عندما يرسل الله – سبحانه وتعالى – رسولاً أو نبيناً ينزل عليه تعاليمه، ونزلت هذه التعاليم في مضمون الكتب، والصحف، فأخبرنا الله – تبارك وتعالى – أنه أنزل: التوراة والإنجيل والقرآن، الزبور، وصحف إبراهيم وصحف موسى.

قال تعالى: { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ* مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ }[1].

ت-الموحى إليه (الرسول): وهم صفوة الخلق الذين اختارهم الله لتحمل وتبليغ رسالاته إلى خلقه.

قال تعالى{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[2].

وقال تعالى: ﴿ وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۞ وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ صِراطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾(٣).

يقول الشيخ/ مصطفى عبد الرازق: "إن القرآن الكريم قرر في أمر الدين أصولا جعلت للدين معنى شرعيا خاصا، فالدين لا يكون إلا وحيا من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أئمة يهدون الناس بأمر الله كما يؤخذ من كثير من آيات الكتاب"[4].

---

١ سورة آل عمران آية ٣، ٤

٢ سورة الحج آية ٧٥.

(٣) سورة الشورى: الآيات ٥١ – ٥٣.

٤ الدين والوحي والإسلام للشيخ/ مصطفى عبد الرازق، ص ٢٩

فيقول الله – سبحانه وتعالى – في كتابه الكريم:-

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "[1].

ثم قال: " وهكذا ما نميل إليه في الجو الإسلامي، ولا ملامة علينا إذ فصلنا تعريف الدين في الجو الإسلامي عن تعريف الدين في علم مقارنة الأديان الغربي، تأسياً بما فعله القرآن الكريم.

فهل بعد الحق إلا الضلال؟ وقد افترقت صفات الدين الحق، دين الله، عن صفات دين الشرك والأصنام والأهواء؟"[2]

وعلى هذا فالدين الإلهي نظام كامل يشمل الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، وليس فقط طقوسا دينية، ولا كهنوتية وجدانية، بل هو نظم كاملة للروح والجسد، والدنيا والآخرة معا.

ثانياً: الدين الوضعي.

الدين الوضعي في حقيقته " مذهب إنساني دعا إليه بعض الناس فدان به آخرون"(٣)

وهو الدين الذي يكون من وضع البشر أنفسهم، وهو عبارة عن مجموعة من المبادئ والقوانين العامة وضعها بعض الناس المستنيرين لأممهم ؛ ليسيروا عليها ويعملوا بما فيها، والتي لم يستندوا في وضعها إلى وحي سماوي، ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل، وإنما هي جملة من التعاليم والقواعد العامة اصطلحوا عليها، وساروا على منوالها، وخضعوا فيها لمعبود معين أو معبودات متعددة.

فما كان من اختراع العقل البشري بأن كان مذهبا خلقيا أو فلسفيا أو اجتماعيا، والمذاهب كثيرة ولكن لا يصلح كل مذهب لنشأة دين وضعي وإنما لابد من توافر شروط فيه حتى يرقى إلى التحول إلى دين وضعي والشروط أما أن تكون ذاتية في المذهب نفسه، أو متعلقة بظروف الناس الذين نشأ المذهب بينهم.

---

١ سورة النحل آية ٤٣.

٢ الدين والوحي والإسلام للشيخ/ مصطفى عبد الرازق، ص ٢٩

(٣) دراسات في الدين، بحوث ممهدة لدراسة الأديان د/ محمود مزروعة ص ٤٩، ٥٠.

فمن حيث الشروط الذاتية في المذهب نفسه فهي:-

١- " أن تلمس تعاليم المذهب من الناس أدق أحاسيسهم.
٢- أن تكون هذه التعاليم ذات صلة موضوعية بواقع حياتهم.
٣- أن تهتم بهذا الواقع فتعالج فيه أهم مشكلاته، وبخاصة ما يتصل بالجانب النفسي للأفراد.
٤- أن تتصف تعاليمه بالإلزام القوي وأن تكون تلك التعاليم محددة وحاسمة.
٥- أن تحتوي على الجزاء ثوابا وعقابا، تبشيرا لمن يسير عليها وإنذارا لمن يخالفها.

أما ما يختص بأفراد المجتمع الذين نشأ المذهب بينهم، فيجب أن يكون لديهم استعدادا لاعتناق هذا المذهب دينا "[1] بسبب ما يعيشونه من خواء عقدي وفراغ ديني لدى هؤلاء الأفراد ومن المعروف أن التدين غريزة من أقوى الغرائز لدى الإنسان، وأن الإنسان لا يمكن أن يحيا سويًا مستقرًا دون أن يشبع هذه الغريزة.

فإذا توفرت الشروط السابقة وصادف مذهب من المذاهب التي توافرت فيها العوامل الذاتية التي أوضحناها خواء عقديا لدى فئة من الناس، فإنه يتحول لديهم إلى دين يعتنقونه، ويكون العامل الأكبر في اعتناقهم له ليس صلاحه باعتباره دينا، بقدر ما هو حاجتهم إلى ما يشبع غريزة التدين عندهم.

وذلك مثل إنسان اشتد به الظمأ، ولم يجد ما يطفئ ظمأه إلا ماء قد فسد لونه وطعمه ورائحته، وهو حين يتجرعه لا يفعل ذلك لصلاح الماء، ولكن لحاجته الملحة إلى أن يطفئ ظمأه.

والأمثلة على ذلك كثيرة مثل ديانة المصريين القدماء، والكونفوشيوسية والبرهمية والبوذية، والمزدكية، والمانوية، والزرادشتية وغيرها.

<u>الفرق بين الدين السماوي والوضعي:</u>

١. الدين السماوي دين قائم على وحي الله تعالى إلى البشر، بواسطة رسول يختاره الله منهم، أما الدين الوضعي؛ فهو جملة من التعاليم، وضعها البَشرُ

(١) دراسات في النصرانية د/ محمود محمد مزروعة ص ١٢-١٣

أنفسهم، واتفقوا عليها، واصطلحوا على التمسك بها، والعمل بما فيها، إنها تعاليم إنسانية ناشئة عن تفكير الإنسان نفسه.

٢. الدين السماوي يدعو دائمًا وباستمرار إلى وحدانية الله تعالى، واختصاص هذا الواحد بالعبادة؛ فلا يخضعُ المَرءُ إلا لله، ولا يستعين إلا به، ولا يذبح إلا باسمه سبحانه وتعالى.

أما الدين الوضعي؛ فإنّه قد يُقَدّس الأحجار والأصنام، ويجيز تعدد الألهة فيجعلها كثيرة ومتغايرة، بل قد تكون متنافرة ومتخالفة، مثل: إله الخير وإله والشر، وإله الحرب وإله السلم. ..إلخ.

٣. الدين السماوي ينزه الإله المعبود عن مشابهته لخلقه، فالله –عز وجل– لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، قال تعالى: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}**(١).

أما الدين الوضعي: فإنه يجيز أن يكون الإله بشرًا مثلهم، أو حيوانًا، أو حجرًا يعبدونه ويخضعون له، ويقدمون له القرابين والهديا؛ فقد عبد بعض الناس الشمس، وعبدوا العجل، واتخذوا فرعون الذي قال لهم: "أنا ربكم الأعلى" إلهًا وعبدوه وخضعوا له وهو بشر مثلهم، وعبدوا الأصنام والأوثان كما فعل مشركوا مكة قل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

٤. الدين السماوي بالنسبة لمسائل العقيدة غير قابل للنسخ أوالتبديل أو التغيير؛ فعقيدة الرُّسل جميعهم واحدة، فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته، والرسل وعصمتهم واليوم الآخر، وما يكون فيه من ثواب أو عقاب، إنّ الخالق عند جميع الرسل واحد، وإنّ هذا الخالق يجب عبادته واختصاصه سبحانه بهذه العبادة. وهذا الإله يجب أن تثبت له جميع صفات الكمال، وأن ينزه عن جميع صفات النقص، وأنه سيحاسب النّاس جميعًا على أعمالهم، ويُجازيهم عليها إن خيرًا فالجزاء خير، وإن شرًا فالجزاء شر وهذا أمر مشترك بين جميع الرسالات السماوية.

أما الدين الوضعي فالمعبود فيه قد يتغير من جيل إلى جيل، ومن قبيلة إلى أخرى.

---

(١) سورة الإخلاص الآيات من ١ – ٤.

٥. الدين السماوي فهو كامل إنه تام شامل؛ لأنه من صنع خالق السماوات والأرض، عَلّام الغُيوب الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة، والذي يحيط بكل شيء علمًا والذي هو علام الغيوب لأنه يعلم الشر وأخفى من السر.

أما الدين الوضعي فيلازمه النقص وعدم الكمال ذلك لأنه من وضع الإنسان، والإنسان لايمكنه أن يحيط بجميع حاجات البشر ومتطلباتهم المتجددة دائمًا. (١)

وهكذا نَلحظُ أن هذه الفروق إما مردها إلى دلائل السند كالفارق الأول، أو إلى دلائل المتن كالفروق الأخرى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدارس للأديان الوضعية مثل: أديان البرهمية، والبوذية، والجينية مثلًا أو الديانة الفارسية القديمة، أو ديانة قدماء المصريين، مما اصطلح على تسميته دينًا وضعيًّا يجدُ فيها ذكر لصفات الرب المتفرد بالكمال والجلال،أو ذكر اليوم الآخر والجزاء ؛ مِمّا لا إمكانية للعقل معه من علم الغيب، ولا قدرة له عليه؛ فلا سبيل لإدراك شيء منه إلا بالسماع والنقل أو الوحي.

وهذا يعني: أنه دليل على بقاء آثار دين صحيح، وهو يتكامل مع قول الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}(٢)، وقوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}(٣).

وعلى هذا نستطيع القول: بأن اجتهادات الناس التي وضعت لإصلاح حياة أمة بعينها، مِمّا اصطُلِحَ عليه فيما بعد دينًا وضعيًّا، إنّما هي نتاج عقل في موروث جمع بين حق آثار وبقايا دين صحيح وباطل، مما أسفر عنه تدخل العقول في النصوص والتحريف لهذا الدين باتباع الأهواء؛ فكان هذا المزيج وإن كان لاعتبار نسبته إلى إنسان معين؛ عرفناه بأنه دين وضعي.

كذلك الرِّسَالاتُ السَّماوية، مثل اليهودية والنصرانية مثلًا؛ فهي سماوية باعتبار أصلها، لكن واقعها كما هي اليوم بأيدي أربابها نجد فيها أمارات التحريف والكتمان، والزيادة والتغيير؛ كما ثبت ذلك، أعني فيها إمارات للوضع، وإن كانت باعتبارها وحيًا صادقًا، ودينًا سماويًّا صحيحًا؛ فهي بنصوصها شيء آخر(٤).

---

(١) مقارنة الأديان بين الإسلام واليهودية د.عوض الله حجازي ص١٨.

(٢) سورة النحل آية ٣٦

(٣) سورة فاطر آية ٢٤

(٤) راجع الأديان الوضعية جامعة المدينة العالمية ص١٣، ١٤.

وحدة الدين

ذكرنا أن الدين الوضعي نشأ أساسا نتيجة أفكار بشرية، والعقل في الإنسان يختلف من فرد إلى فرد، ومن أمة إلى أمة، ويختلف من حيث الزمان والمكان، فكان من الطبيعي أن تختلف معطياته من مذاهب، أفكار، وآراء، ومن أديان وضعية.

أما الدين السماوي فهو صادر من عند الله الواحد ﷻ لذا كان من الطبيعي أن يكون هذا الدين واحدا وهو الإسلام(١)، أرسل الله به كل رسله وأنبيائه إلى خلقه، وفي إطار الدين الواحد جاءت رسالات الرسل من أمثال سيدنا موسى، وسيدنا عيسى عليهم الصلاة والسلام، فالرسالات السماوية دين واحد في صورة رسالات متعددة، وليست أديانًا متعددة أو مختلفة، وإن وقع الاختلاف فهو تنوع لا تضاد يقع في الشرائع، وليس في المعتقدات، وفي الفروع وليس في الأصول.

فالإسلام هو دين الله من يوم أن خلق الأرض ومن عليها، حتى يرثها ومن عليها، لا مجوسية، لا يهودية، لا نصرانية أو مسيحية، وإنما الإسلام، والإسلام فقط، قال تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(٢)، وقال﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٣).

فالإسلام هو الدين الذي يقبل الله من دان به، ولا يقبل من دان بغيره، فالله – سبحانه وتعالى – لا يقبل من أحد سوى الإسلام، فمن لقى الله بغير الإسلام وشريعته فليس بمتقبل منه، فالإسلام هو دين الله الذي ارتضاه لعباده، وبعث جميع الرسل مؤمنين به، داعين إليه.

لقد كان آدم عليه السلام مسلما، وكان نوح عليه السلام مسلما، يدعو إلى الإسلام، وكان إبراهيم عليه السلام مسلما، يدعو إلى الإسلام، وكان موسى عليه السلام كذلك، وكذلك كان سيدنا محمد ﷺ.

---

(١) @

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

فهذا أبو الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام يأخذ العهد على أبنائه أن يظلوا من بعده مسلمين: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١).

وموسى عليه السلام مسلم يدعو إلى الإسلام، فيستجيب له السحرة، ويبتهلون إلى ربهم قائلين ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام يدعو إلى الإسلام فيستجيب له الحواريون، ويشهدونه على إسلامهم ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣).

وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ يقول له ربه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤).

وإذا كان دين الله واحدا هو الإسلام، فما أشد كذب هؤلاء الذين ينسبون أنبياء الله إلى اليهودية، أو النصرانية، في حين أنهم جميعا مسلمون:

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (٥).

فليس في الأنبياء يهودي، ولا نصراني، وإنما هم جميعا مسلمون، أنزل الله عليهم الإسلام ليؤمنوا به ويدعوا إليه ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٦).

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٧).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٢.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢٦.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٢.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٢ – ١٦٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٤٠.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٧) سورة الشورى: الآية ١٣.

يقول أحد العلماء "لقد جاء في مطلع السورة: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)، فكانت إشارة إجمالية إلى وحدة المصدر، ووحدة المنهج، ووحدة الاتجاه، فالآن يفصل هذه الإشارة ويقرر أن ما شرعه الله للمسلمين هو في عمومه ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى، وهو أن يقيموا دين الله الواحد، ولا يتفرقوا فيه ".

وهكذا تتجلى وحدة دين الله ﷻ في عرض القرآن الكريم لها من عدة نواح:

الأولي: من ناحية وحدة المصدر.

الثانية: من ناحية وحدة الموضوع.

الثالثة: من ناحية وحدة التسمية، أو النطق بالإسلام.

فمن ناحية وحدة المصدر:

فمصدر الدين الحق واحد وهو الله ﷻ رب العالمين، ففي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تنص على أن المصدر لكل رسالات الأنبياء إنما هو الوحي من عند الله ﷻ.قال تعالى﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾(٢).

وبهذا يتقرر أن مصدر الدين واحد هو وحدة الوحي، فالموحي هو الله ﷻ، والموحى إليهم هم الرسل على مدار الزمان، والوحي واحد في جوهره على اختلاف الرسل والزمان.

ومن ناحية وحدة الموضوع:

فقد بعث الله ﷻ الأنبياء من أجل هدف واحد، هذا الهدف هو عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له والطاعة، والخضوع والتقوى، فيقول سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٣).

وقد جاءت الآيات الكريمة في كثير من سور القرآن تعرض القصص القرآني المعصوم حول رسل الله صلى الله عليهم وسلم مع أقوامهم، وكان من

(١) سورة الشورى: الآية ٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

عرض الآيات وحدة الأسلوب في تقرير وحدانية الله ﷻ ووحدة الدين، ووحدة موضوع رسالات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ومن بين سورة القرآن التي عرضت وحدة موضوع الرسالات سورة الشعراء فقد عرضت بأسلوب واحد وحدة الموضوع.

قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(١).

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٢).

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(٣).

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٤).

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(٥).

ومن ناحية وحدة التسمية:

فقد أخبر الله ﷻ أن الدين عنده هو الإسلام، وأقر جميع الأنبياء أنهم عليه ونطقوا باسمه بصريح العبارة.

فيقول الله ﷻ عن سيدنا نوح عليه السلام وما دار بينه وبين قومه ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦).

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٠٦ – ١٠٨.
(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٢٤ – ١٢٦.
(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٤٢ – ١٤٤.
(٤) سورة الشعراء: الآيات ١٦١ – ١٦٣.
(٥) سورة الشعراء: الآيات ١٧٧ – ١٧٩.
(٦) سورة يونس: الآية ٧٢.

وسيدنا إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلماً فيقول الله ﷻ: ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

وقد وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فيقول الله ﷻ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٢)

وقال سيدنا موسى عليه السلام في سياق وصيته لقومه فيقول الله ﷻ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ (٣).

وسيدنا عيسى يدعو حواريه إلى الإسلام، والحواريون يقرون بأنهم مسلمون، فيقول الله ﷻ

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (٤) وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ – من المسلمين، فيقول الله ﷻ {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }٥.

وهو أول مسلمي زمانه ﷺ فيقول الله ﷻ { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }٦.

وقال ﷺ "أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي"٧.

ويقول ﷺ "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد"٨.

هذا ولقد أخذ الله – سبحانه وتعالى – العهد والميثاق على النبيّين الذين بعثوا قبل رسوله محمد ﷺ أن يؤمنوا هم وأممهم به ويتّبعوه ﷺ إن هم أدركوه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣١.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٢.
(٣) سورة يونس: الآية ٨٤.
(٤) سورة المائدة: الآية ١١١.
٥ سورة النمل ٩١.
٦ سورة الأنعام (١٦٢، ١٦٣).
٧ رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت م٢، ج٤، ص ٢٠٣.
٨ رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت م٢، ج٤، ص ٢٠٣

قال الله – عزّ وجلّ– ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

قال أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» وابن عمه «عبد الله بن عباس» – رضي الله عنهما –: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث الله محمداً – وذلكم النبي حي – ليؤمننَّ به ولينصرنّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بُعث محمّد – وهم أحياء – ليؤمنُنَّ به ولينصُرُنَّه[2].

ولهذا فإن من أعرض عن رسالة محمّد – صلى الله عليه وسلم – فقد ضلّ سواء السبيل، ولو كان متبعًا نبيًّا غيره بزعمه؛ لذلك قال الله – سبحانه وتعالى – إثّر آية الميثاق المذكورة: ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]

وقد قال النبي ﷺ (... والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى عليه السلام كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتَّبعني)[4]، وفي بعض الأحاديث: (لوكان موسى وعيسى حيّين، لما وسعهما إلا اتّباعي). [5]

فالرسول محمّد ﷺ خاتم الأنبياء وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الربِّ – جلَّ جلاله – لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١.
(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٨٦. وانظر سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد محمد بن يوسف الصالحي الشامي ج١ ص٩٠.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٢.
(٤) رواه الإمام أحمد «٣٨٧/٣» عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – فغضب، فقال: أمتهوِّ كون فيها يا ابن الخطاب؟!، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به.
(٥) انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٣٨٦.

الذي لايليق إلّا له – والذي يحيد عنه أُولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه، فيكون هوالمخصوص به، صلوات الله وسلامه عليه(١).

أما عن حكمة تعدد الرسالات:

يمكن تلمس الحكمة في تعدد الرسالات الإلهية فيما يلي:

٥. نسيان الإنسان بعد تذكر، وضلاله بعد هدى، فتاريخ البشرية خير شاهد على هذا ؛ إذ طبيعة الإنسان حين تتسلط عليه الشهوة، ويتحكم فيه الهوى أن ينسى عهد الله، وقل من لم تتسلط عليه شهوته، أو يتحكم فيه هواه.

٦. بُعد الشقة بين الناس وبين الرسالة الإلهية مما يؤدي إلى اختلافهم، قال الله تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾(٢).

فحين يتقادم بالناس العهد، وينسون ما ذكروا به يأتي بالرسل مبشرين ومنذرين، فيقررون من جديد جوهر الدين، ويزيحون ما ران على الفطرة البشرية من حجب قد تحجب جوهر الدين من أساسه.

٧. لتتدرج التشريعات الإلهية في الأديان السماوية مع الإنسان في سيره نحو الكمال حتى تصل إلى الكمال في الإسلام وتشريعاته فهو خاتم الأديان وآخر التشريعات.

٨. تعدد الأقوام كان سببا في تعدد الرسالات، وقد أخبرنا القرآن الكريم في القصص الحق أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان معاصرا لسيدنا لوط عليه السلام، كل منهما يدعو قومه إلى الله عز وجل.

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٣٨٦. وانظر سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد محمد بن يوسف الصالحي الشامي ج١ ص٩١.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٣.

المبحث الرابع: التعريف بالإسلام.

تكلمنا عن أن الدين السماوي واحد، صادر من عند الله ﷻالواحد، أرسل الله به كل رسله وأنبيائه إلى خلقه في صورة رسالات متعددة، وليست أديانًا متعددة أو مختلفة، وإن وقع الاختلاف فهو تنوع لا تضاد يقع في الشرائع، وليس في المعتقدات، وفي الفروع وليس في الأصول.

وسوف نتكلم بإذن الله ﷻ عن تعريف الإسلام لغة، واصطلاحًا:-

الإسلام لغة:-

عند النظر في المعاجم اللغوية، والقوميس نجد أن "سلم": السين واللام والميم تدور حول المعاني الآتية:-

البراءة، السلامة من الآفات، اسم من أسماء الله – سبحانه – السلام، الاسم من التسليم، دفع الشيء للغير، الخذلان، لدغ الحية، المسالمة، المصالحة، الاستسلام، الانقياد والخضوع، الإخلاص، الإسلام، السلف، الدلو التي لها عروة واحدة،التقبيل والاعتناق، التحية، الحجارة الصلبة، تطلق على عظام الأصبع في اليد والقدم، السبب إلى الشيء، الجنوب من الرياح، السلم الذي يرتقي عليه(١). وهذه المادة نوع من السلامة والخضوع والتسليم.

وأسلم تأتي على معان: الانقياد.، الإخلاص، الدخول في دين الإسلام(٢).

ويقول ابن فارس في مادة "سلم": السين واللام والميم، معظم بابه من الصحة والعافية، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهل العلم: الله، جل ثناؤه، هو السلام، لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء... ومن الباب أيضا: الإسلام وهو: الانقياد، لأنه يسلم من الإباء والامتناع "(٣).

(١) لسان العرب، جـ ٢٣، صـ ٢٠٧٧ – ٢٠٨٤.
(٢) القاموس القويم للقرآن الكريم إبراهيم أحمد عبد الفتاح ج١، ص٣٢٥ – ٣٢٦.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٣، ص ٩٠.

ويقول الراغب الأصفهاني :"الإسلام هو الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما من أن يناله من ألم صاحبه "[١].

والإسلام- أيضا- يستعمل في لغة العرب متعديا ولازما:

أما استعماله متعديا: فتقول: أسلمت الشيء إلى فلان، إذا أخرجته إليه، ومنه: السلم في البيع، أي السلف فيه، وسلمه الله تعالى من الآفة تسليما، وسلمته إليه تسليما فتسلمه، أعطيته فتناوله. وأسلم العدو: خذله، وأسلم أمره إلى الله: سلمه. وكان ابن عمر رضي الله عنهما، ينهى أن يقال: أسلمت إلى فلان أو أعطيته السلم، بمعنى السلف، وكان يقول:الإسلام لله، وأحب أن يكون هذا الاسم محضا في طاعة الله لا يدخله شيء غيره.

وعند استعماله لازما يكون معناه: الانقياد والدخول في السلم، أي الاستسلام، كما أن الإصباح هو الدخول في الصباح، والإحرام هو الدخول في الحرمة.

ومعنى الإسلام لازما يرجع إلى معناه متعديا، لأن من انقاد واستسلم للغير فقد سلم إليه نفسه وألقى إليه بمقاليده[٢].

ثانيا: الإسلام اصطلاحًا:-

" هو الاستسلامُ لله لا لِغَيرِهِ، بِأن تَكُونَ العبادةُ والطاعةُ لَهُ والذلُّ، وهو حَقيقةُ لا اله إلا الله"[٣]

والإسلام له معان ثلاثه:-

١- الخضوع والانقياد لأمر الله – سبحانه – طوعا أو كرها.

٢- إسلام الوجه لله – سبحانه – طوعا واختياراً.

٣- الدين الخاتم الذي أتى به – سيدنا – محمد – ﷺ".

---

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٤٠.

(٢) انظر: ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي ج٢ ص٦٠٣، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ج٥ ص١٩٥٠- ١٩٥٢، غريب الحديث للخطابي ج٣ ص٤١١، مجموع فتاوى ابن تيمية ج٧ ص٦٣٥، المختار من كنوز السنة د. محمد عبدالله دراز ص٦٩- ٧١.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٥ ص٢٣٩ .

فعلى الأول: نجد أن الكون كله قد خضع وانقاد لله ﷻالذي خلقه، والإنسان خاضع لنواميس الله ﷻ لا يحيد عنها قيد شعره، والمؤمن والكافر في ذلك سواء، فيقول الله ﷻ:-(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (١).

ويقول ﷻ:- (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (٢).

وعلى الثاني: وهو إسلام الوجه لله ﷻ طوعا واختيارا.

وهذا يجمع "بين خضوع الفطرة الإرادة فاجتمعت له الطاعة الفطرية، والطاعة بالإرادة، وذلك كخضوع المؤمنين من بني آدم لربهم واستسلامهم لشرعه، ودينه وبهذا المعنى يوصف اتباع الأنبياء السابقين بأنهم مسلمون، والقرآن الكريم يطلق كلمة مسلم على كل من أطاع الأنبياء السابقين وآمن بهم"(٣).

يقول الله ﷻ: (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) (٤).

يقول ﷻ: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (٥).

وعلى الثالث هو الدين الخاتم الذي أتي به سيدنا محمد ﷺ. وهذا المعنى خاص بالدين الإسلامي، وجاء به قول الله ﷻ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (٦).

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٣.
(٢) سورة الحج آية ١٨
(٣) تاريخ الدعوة ج١، ص ٢٩
(٤) سورة القصص الآيات من ٥١- ٥٣.
(٥) سورة البقرة آية ١٣٣.
(٦) سورة المائدة آية ٣.

" والإسلام بهذا المعنى الأخير هو الدين الإلزامي الذي لا يقبل الله التدين بسواه ولا يرضى أن يعبد بغير مقتضاه ولا ينجو المكلف بغير ابتاعه، فمن آمن به هدى، ومن كفر به لم يقبل الله ﷻ منه صرفا ولا عدلا[1]ولذلك يقول الله ﷻ:- **(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [2].

والدين السماوي يشتمل على عقيدة وشريعة:

فإذا نظرنا إلي الدين من حيث هو حقيقة خارجية فإننا لا نجده سوى جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات القوة الإلهية، وجملة القواعد التي ترسم طريق عبادتها.

أما العقيدة: فهي الجانب النظري في الدين – إذا صح لنا هذا التعبير –، وهي جوهره ، وأساسه، وهي القاسم المشترك بين كل ما جاء من قبل الله من رسالات، وهي عنصر الوحدة في جميع الرسالات.

المبحث الخامس: التعريف بالعقيدة.

العقيدة في اللغة:

مأخوذة من العقد يقال " عَقَدْتُ الْحَبْلَ عَقْدًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ فَانْعَقَدَ وَالْعُقْدَةُ مَا يُمْسِكُهُ وَيُوَثِّقُهُ وَمِنْهُ قِيلَ عَقَدْتُ الْبَيْعَ وَنَحْوَهُ وَعَقَدْتُ الْيَمِينَ وَعَقَّدْتُهَا بِالتَّشْدِيدِ تَوْكِيدٌ وَعَاقَدْتُهُ عَلَى كَذَا.

وَعَقَدْتُهُ عَلَيْهِ بِمَعْنَى عَاهَدْتُهُ،وَمَعْقِدُ الشَّيْءِ مِثْلُ مَجْلِسٍ مَوْضِعُ عُقْدَةٍ، وَعُقْدَةُ النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ إحْكَامُهُ وَإِبْرَامُهُ، ... وَاعْتَقَدْتُ كَذَا عَقَدْتُ عَلَيْهِ الْقَلْبَ وَالضَّمِيرَ حَتَّى قِيلَ الْعَقِيدَةُ مَا يَدِينُ الْإِنْسَانُ بِهِ وَلَهُ عَقِيدَةٌ حَسَنَةٌ سَالِمَةٌ مِنْ الشَّكِّ وَاعْتَقَدْتُ مَالًا جَمَعْتُهُ[3].

(١) تاريخ الدعوة ج ١ ص٣٠.
(٢) سورة آل عمران آية ٨٥.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للمقري القاري ج ص٤٢١.

فالعين والقاف والدال، أصل واحد يدل على الشدّة والثبات والوثوق والصلابة، وإليه ترجع فروع الباب كلها، من ذلك عَقَدَ البناءَ: ألصق بعض حجارته ببعض بما يمسكها فأحكم إلصاقها، والعَقْدُ: العهد والميثاق، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(١)، والعقود ارتباط وثيق بين اثنين على أمر من أمور الحياة، وعَقَدْتُ الحبلَ أعقُده عقداً، وقد انعقد، وتلك هي العُقدة. والعَقْدُ: عقد اليمين، والعُقْدةُ: ما يمسك الشيء ويوثّقه، ومن كل شيء: وجوبه وإحكامه وإبرامه، ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾(٢)، والمعنى: لا تنووا عقد النكاح مع المتوفى عنها زوجها حتى تنتهي عدتها ولا يجوز إلا مجرد التعريض بالخطبة، واعتقد الشيءُ: اشتد وصَلُبَ، واعتقد الإخاءُ بينهما: صَدَقَ وثَبُتَ، واعتقدتُ كذا: عقدتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين به المرء، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك(٣).

بناء على ما تقدم في كلمة عقد واشتقاقها، يتبين لنا أن كلمة العقيدة لغة: فعيلة، من عقد بمعنى معقودة "أي بمعنى اسم المفعول" فهي تطلق لغة على الأمر الذي يعتقده الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره، بحيث يصير عنده حكمًا لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، فاعتقد كذا بقلبه: أي صار له عقيدة؛ لأنه لما كان العقد لغة: هو الجمع بين أطراف الشيء، فكأن المعتقد قد جمع أطراف قلبه وعقد ضميره على معتقده فأحكم وثاقه بالأدلة القاطعة لديه والبراهين التي قامت على معتقده حتى يكون لانعقاد القلب عليه أثر ظاهر من الإذعان والخضوع له، فأشبهت العقيدة العهد المشدود والعروة الوثقى لاستقرارها في القلب ورسوخها في الأعماق(٤).

---

(١) سورة المائدة آية ١.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٣) انظر هذه المعاني اللغوية في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٤ ص ٨٦، ٨٧، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ج٢ص٥١٠، ٥١١، أساس البلاغة للزمخشري ج٢ ص١٣١، ١٣٢، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج٣ ص٢٧، ٢٨، الكليات لأبي البقاء الكَفَوِيّ ج١ ص٢٤١، المصباح المنير للمقري القاري ج٢ ص٤٢١، مفردات ألفاظ غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٥٧٦ . ٥٧٧.

(٤) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم محمد خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ١٩٨٥م ص١٩.

جاء في المعجم الوسيط أن العقيدة هى الحكم الَّذِي لَا يقبل الشَّك فِيهِ لَدَى معتقده، والعقيدة (في الدين) مَا يقْصد بِهِ الِاعْتِقَاد دون الْعَمَل كعقيدة وجود الله وَبَعثه الرُّسُل' ويرادفها الاعتقاد، والمعتقد... والجمع: عقائد[١].

فالعقيدة من العقد؛ وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوة، والتماسك، والمراصة، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم. والعقد نقيض الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال تعالى **(لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ)** [٢].

وأما العقيدة في الاصطلاح:

فقد عرفها الإيجي والجرجاني بأنها: "ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل"[٣].

فالمراد بالعقيدة هنا هو عين المعتقد الحاصل في القلب وذلك في مقابل الأحكام العملية والتطبيقات الشرعية التي تهتم بها علوم الشريعة والفقه والنظم الإسلامية.

وأشار إلى ذلك المحقق الدوَّاني حين قال: " المراد بالعقائد ما يتعلق الغرض بنفس اعتقاده من غير تعلق بكيفية العمل ؛ ككونه حيًا عالمًا قادرًا إلى غير ذلك من مباحث الذات والصفات، وتسمى تلك الأحكام أصلية واعتقادية، ويقابلها الأحكام المتعلقة بكيفية العمل ؛ كوجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم وتسمى شرائع وفروعًا وأحكامًا ظاهرة" [٤].

ومن خلال المعنى اللغوي للمادة التي اشتقت منها كلمة عقيدة استطاع البعض أن يعرفها بأنها: " الارتباط بين القلب البشري (العقل)، وفكرة أو رأي أو منهج معين، وأن هذا الارتباط يتميز بالوثاقة، والقوة، والإحكام، كما يتسم بالثبات

(١) انظر المعجم الوسيط ج٢ ص٦١٤، ٦٣٧.
(٢) سورة المائدة آية ٨٩.
(٣) المواقف في علم الكلام للإيجي، ص ٧،التعريفات للجرجاني ص ١٧٤، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد سنة ١٩٩١م.
(٤) شرح العقائد العضدية لجلال الدين الدوَّاني ص٣٢.

والاستمرار، والاستقرار، وهذه الإيماءات توحي بها كلمة عقيدة أكثر مما توحي بها كلمة عقد أو عقدة "[١].

والعقيدة في تعريف آخر، هي: " ما تعاقد الناس على اعتباره قوّة مؤثرة في حياتهم وسلوكهم، وطريقة تفكيرهم" [٢].

أو هي " أنماط لصياغات طقسية وشعائرية تساعد على دمج الحقائق الأساسية، وصهرها في أجسادنا لتتحكم بوجودنا كله "[٣].

وعرفها آخر بقوله: "العقيدة هي مثل عليا يؤمن بها الإنسان فيضحي من أجلها بالأموال والنفس؛ لأنها عنده أغلى من الأموال والنفس"[٤].

فهي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك. أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظنا؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة. وسمي عقيدة؛ لأن الإنسان يعقد عليه قلبه.

أركان العقيدة الإلهية:

للعقيدة الإلهية في دين الله ﷻ ست ركائز وهي:-

١- الإيمان بالله ﷻ.
٢- وملائكته.
٣- وكتبه.
٤- ورسله.
٥- واليوم الآخر.
٦- الإيمان بالقدر.

(١) العقيدة في الإسلام منهج وحياة د. السيد رزق الطويل ط. وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ٢٤٥ لسنة ١٩٨١م، ص ١٥، ١٦

(٢) أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام د. سميح دغيم، ط١ دار الفكر اللبناني بيروت ١٩٩٥م ص ٧.

(٣) العلمنة والدين محمد أركون دار الساقي لندن ١٩٩٠م ص ٢٤

(٤) بين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب، دار الفكر بيروت ط١، ١٩٧٢م ص٢٠.

وهذه الركائز الست ثابتة لاتغير منذ آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة، وإذا فقدت ركيزة منها فقد الإيمان جملة، وأصبح صاحب تلك العقيدة خارج الملة.

قال تعالى (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"[١].

فذكر الله ﷻ في هذه الآية من أركان الإيمان بالاسم، الإيمان بالله، اليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين، وذكر الإيمان بالقدر بأثره وهو الصبر على ما يصيب " من فقر، ومرض، وعند الشدائد ومنها الجهاد في سبيل الله – سبحانه وتعالى"[٢].

وقد ذكر الله ﷻ هنا في هذه الآية كل ما يلزم الإيمان فقد دخل تحت الإيمان بالله: معرفته بتوحيده، وعدله وحمته، ودخل تحت اليوم الآخر المعرفة بما يلزم من أحكام الثواب والعقاب والمعاد، إلى سائر ما يتصل بذلك، ودخل تحت الملائكة: ما يتصل بأدائهم الرسالة إلى النبي ﷺ ليؤديها إلينا إلى غير ذلك ما يجب أن يعلم من أحوال الملائكة، ودخل تحت الكتاب: القرآن وجميع ما أنزل الله على أنبيائه، ودخل تحت النبيين: الإيمان بنبوتهم، وصحة شرائعهم، فثبت أنه لم يبق شيء مما يجب الإيمان به إلا دخل هذه الآية"[٣].

وقد ذكر القدر في آيات كثيرة منها قوله تعالى(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [٤].

فكل صغيرة وكبيرة تقع في الكون هي بقدرة الله ﷻ فقد "عَلم الله مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث

(١) سورة البقرة آية ١٧٧.
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي، م٣، ج ٥ ص ٤٩.
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي، م٣، ج ٥ ص ٤٠.
(٤) سورة الحديد آية ٢٢.

صادر من علمه وقدرته، وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية"[1].

فإذا آمن الإنسان بذلك كله كان مؤمنا حقا، ومن آمن ببعضها دون البعض فهو كافر حقا، والعقيدة التي تتوفر فيها هذه المكونات هي عقيدة صحيحة، والتي ينقص منها شيء من هذه المكونات هي عقيدة ناقصة، وغيره صحيحة.

كذلك يقول ﷻ مشيرا إلى أن ما نزل من عنده من دين على يد الكثيرين من الرسل إنما يقوم على أسس واحدة، وجوهر واحد، وحقيقة لا تختلف من نبي إلى نبي، وأن كل الأنبياء إنما نزل عليهم دين واحد: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾[2].

وكذلك فقد أشار الرسول ﷺ إلى أركان العقيدة في حديث (الإيمان والإسلام والإحسان) المشهور بحديث جبريل الذي رواه عمر –رَضِي اللهُ عَنْهُ– قالَ: بَينَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَديدُ بَيَاضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ؛ قالَ: يا **محمَّدُ**، أَخْبِرْنِي عَنِ الإسْلامِ.

فَقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**)). قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ.

قالَ: ((**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**))، قالَ: صَدَقْتَ

قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإحسانِ؟

قالَ: ((**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**)).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ١، ص ١٤٥.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعةِ. قالَ: **((مَا الْمَسْؤُولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ))**،قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِها،قالَ: **((أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ))**.

قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قالَ لِي: **((يا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟))**،قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: **((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))** (١).

فقد أشار النبيﷺ إلى جملة العقيدة والشريعة حين ذكر أن جبريلﷺ أتي يعلمهم **مراتب الدين** التي هي الإيمان والإسلام والإحسان.

المبحث السادس: التعريف بالشريعة.

الشريعة في اللغة:

جاء في القاموس المحيط: "الشريعة ما شرعه الله لعباده، والظاهر المستقيم من المذاهب كالشرعة بالكسر فيها".

وذكر الراغب الأصفهاني:

" الشرع: نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقا، والشرع مصدر، ثم جعل اسما للطريق النهج، فقيل: شَرَع وشَرْع وشريعة. واستعير ذلك للطريقة الإلهية، قال تعالى: {شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}. فذلك إشارة إلى أمرين:

أحدهما: ما سخر الله تعالى عليه كل إنسان من طريق يتحراه، مما يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد، وذلك المشار إليه بقوله: **{وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا}**.

الثاني: ما قيض له من الدين وأمره به ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع، ويعترضه النسخ، ودل عليه قوله تعالى: **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا}**، وقوله تعالى: **{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ}** إشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها الملل فلا يصح عليها النسخ، كمعرفة الله تعالى ونحو ذلك من نحو ما دل عليه قوله: **(وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)**" (٢).

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه(انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص١٥٧، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ص٩٦، ٩٧).

(٢) المفردات الراغب الأصفهاني ص٢٥٨.

قال ابن عباس –رضي الله عنهما: "الشرعة ما ورد به القرآن الكريم، والمنهاج ما ورد به السنة."، قال بعضهم: سميت الشريعة شريعة: تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روي وتطهر[١].

ويقول ابن منظور: "شرع الوارد يشرع شرعا وشروعا: تناول الماء بفية. وشرعت الدواب في الماء تشرع شرعا وشروعا أي دخلت. دواب شُرُوع وشُرَّع شرعت نحو الماء، والشريعة والشراع والمشرعة: المواضع التي يُنحدر إلى الماء منها.

قال الليث:وبهذا سمى ما شرع الله للعباد شريعة في الصوم، والصلاة والحج والنكاح وغيره.

والشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس، يشربون منها ويستقون، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لانقطاع له، ويكون ظاهرا معينا لا يسقي بالرشاء"[٢].

ويقول الإمام الرازي " لفظ (الشرعة): في اشتقاقه وجهان:

الأول: معنى شرع: بين وأوضح، قال ابن السكيت :لفظ الشرع مصدر: شرعت الإهاب، إذا شققته وسلخته.

الثاني: شرع مأخوذ من الشروع في الشيء وهو الدخول فيه، والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون منها، فالشريعة فعيلة بمعنى: المفعولة... وأما المنهاج فهو الطريق الواضح، يقال: نهجت لك الطريق وأنهجت "[٣].

فكلمة الشريعة تستعمل فى اللغة ويراد بها:

مورد الماء الجاري الذى يعده الناس لسقى دوابهم ومنه قول العرب شرعت الإبل.

---

(١) المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب د.محمد بن فتح الله بدران ص ٥٩، دراسات في الملل والنحل د. حامد الخولي ص٢٥، ٢٦.

(٢) لسان العرب ابن منظور ج ٢٥، ص ٢٢٣٨

(٣) تفسير الفخر الرازي، م٦، جـ ١٢، صـ ١٣.

ثم استعملها العرب في **الطريقة المستقيمة**، وذلك باعتبار أن المورد ماء سبيل الحياة والسلامة للأبدان، وكذلك الشأن في الطريقة المستقيمة التي تهدي الناس إلى الخير، ففيها حياة نفوسهم، وري عقولهم، قال تعالى: { **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا** }.أى جعلناك على طريقة مستقيمة وواضحة من أمر الله .

الشريعة في الإصطلاح:

"هي الأشياء التي أوجب الله تعالى على المكلفين أن يشرعوا فيها"(١).

فهي الجانب العملي في الدين، قال تعالى **(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** (٢).

فلكل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شريعة خاصة به وبقومه، وهذه الشرائع متفقة الأصول: كالصلاة، والصيام، والزكاة، والصوم، والحج، مثلا فهي موجودة في جميع الشرائع، أما الاختلاف ففي فرعيات الشرائع، قال تعالى:-

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (٣).

يقول **الإمام الرازي** في تفسير قوله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)

" يدل على أنه يجب أن يكون كل رسول مستقلا بشريعة خاصة، وذلك ينفي كون أمة أحد الرسل مكلفة بشريعة الرسول الآخر...

وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الأنبياء والرسل، وآيات دالة على حصول التباين فيها.

(١) تفسير الفخر الرازي، م٦، جـ ١٢، صـ ١٣.
(٢) سورة الجاثية آية ١٨.
(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

أما النوع الأول: فقوله (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)[١]، وقال: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ) [٢].

وأما النوع الثاني: فهو هذه الآية –أي (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) –،وطريق الجمع أن نقول: النوع الأول من الآيات مصروف إلى ما يتعلق بأصول الدين، والنوع الثاني مصروف إلى ما يتعلق بفروع الدين"[٣].

ثم ذكر الإمام الرزاي أن " الخطاب في قوله (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) خطاب للأمم الثلاث: أمة موسى، وأمة عيسى، وأمة محمد عليهم السلام، بدليل أن ذكر هؤلاء الثلاثة قد تقدم في قوله: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)، ثم قال (وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (،ثم قال:) (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ).

ثم قال(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) يعني شرائع مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة "[٤]

وقد ذكر الرازي الفرق بين الشرعة والمنهاج " قال بعضهم: الشرعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد، والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين، وقال آخرون: بينهما فرق، فالشرعة عبارة عن مطلق الشريعة، والطريقة عبارة عن مكارم الشريعة، وهي المراد بالمنهاج، فالشريعة أول، والطريقة آخر، وقال المبرد : الشريعة ابتداء الطريقة، والطريقة المنهاج المستمر، وهذا تقرير ما قلناه "[٥]

أما **الإمام الشاطبي** فقد عرف الشريعة فقال" إن معنى الشريعة أنها تحدُّ للمكلفين حدودًا في أفعالهم وأقوالهم، واعتقاداتهم، وهو جملة ما تضمنته"[٦].

وعلى هذا التعريف فالشريعة مرادفة للدين، وليس يُراد بها الفقه وحده؛ لأن الفقه لا يتعرض للاعتقادات كما هو معلوم.

---

(١) سورة الشورى آية ١٣.
(٢) سورة الأنعام آية ٩٠.
(٣) تفسير الفخر الرازي، م٦، ج ١٢ ص ١٣.
(٤) تفسير الفخر الرازي، م٦، ج ١٢، ص ١٣.
(٥) تفسير الفخر الرازي، م٦، ج ١٢، ص ١٣.
(٦) الموافقات للشاطبي ج ١ ص ١٣٢.

وننتهي في هذا الشأن إلى ما ذكره د. مزروعة [1] قائلا: أما الشريعة فهي الجانب العلمي في الدين، وهي فرع عن العقيدة، وهذه تختلف في دين الله من نبي إلى نبي، ومن أمة إلى أمة، يقول الله تبارك وتعالى مشيرا إلى اختلاف الشريعة من رسول إلى رسول، ومن أمة إلى أمة:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [2].

وهذا الاختلاف في الشريعة لم ينتج عن ضرورة ذاتية في الدين نفسه، ولكنه أتى نتيجة لظروف الأقوام الذين نزل عليهم هذا الدين، ونتيجة لاختلاف هذه الظروف.

فلقد كانت البشرية في أول عهدها ساذجة لا تستطيع أن تتلقى الدين كاملا، أو تحمل الأمانة مستوفاة ؛ ولذلك كان من رحمه الله أن ينزل على كل أمة من الشريعة ما تطيق، وأن يكلفها من الأعمال ما يتفق مع ظروفها، وما يتواءم مع ما وصلت إليه من كمال.

وسار أمر الشريعة على هذا المنوال: كلما بعث رسول نزل عليه من الشريعة قدرا أكمل وأتم من الشريعة السابقة، ومازال هذا أمر الشريعة، تسير قدما في طريق الكمال، كلما اقتربت الإنسانية من كمال رشدها حتى جاء الوقت الذي وصلت فيه الإنسانية إلى أوج كمالها، فبعث الله إليها بخاتم رسله، ومعه أكمل الشرائع وأتمها وأشملها وأعمها، بعث الله سيدنا (محمد) ﷺ بشريعة الإسلام، وأنزل عليه قوله ﷻ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [3].

أما الفرق بين الدين والشريعة والمنهاج:

يقول أبو هلال العسكري: " الفرق بين الشريعة والدين: أن الشريعة هي الطريقة المأخوذة فيها إلى الشئ، ومن ثم سمي الطريق إلى الماء شريعة ومشرعة، وقيل الشارع لكثرة الأخذ فيه.

(١) انظر درسات في اليهودية د. محمود مزروعة ص٣١، ٣٢.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٣) سورة المائدة: الآية ٣.

والدين ما يطاع به المعبود ولكل واحد منا دين وليس لكل واحد منا شريعة.

والشريعة في هذا المعنى نظير الملة إلا أنها تفيد ما يفيده الطريق المأخوذ ما لا تفيده الملة، ويقال شرع في الدين شريعة كما يقال طرق فيه طريقا، والملة تفيد استمرار أهلها عليها"(١).

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك الشريعة، وهو مورد الشاربة الماء اشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة."(٢)

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: "وشرع الله الدين، وشرع في الماء شروعًا، وورد الشرع والشريعة والشرائع، نعم، الشرائع من وردَّها رُوي وإلا روى"(٣).

وقال التهانوي: " الشريعة: ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء –صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم– سواء كانت متعلقة بكيفية عمل، وتسمى فرعية وعملية، ودون لها علم الفقه، أو بكيفية الاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية، ودون لها علم الكلام.

ويسمى الشرع أيضا بالدين والملة؛ فإن تلك الأحكام من حيث إنها تطاع دين، ومن حيث إنها تملى وتكتب ملة، ومن حيث إنها مشروعه شرع؛ فالتفاوت بينها بحسب الاعتبار لا بالذات، إلا أن الشريعة والملة تضافان إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– وإلى الأمة فقط استعمالا، والدين يضاف إلى الله تعالى أيضا"(٤)

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ج١، ص٢٩٩، ٣٠٠، وانظر المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب د.محمد بن فتح الله بدران ص ٦٠، دراسات في الملل والنحل د. حامد الخولي ص٢٦.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ج٣ ص٢٦٢، وانظر المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب د.محمد بن فتح الله بدران ص ٦٠، دراسات في الملل والنحل د. حامد الخولي ص٢٦.

(٣) المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب د.محمد بن فتح الله بدران ص ٦٠، دراسات في الملل والنحل د. حامد الخولي ص٢٦.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج٤ ص١٢٩ .

وفي "الكليات" لأبي البقاء الكَفَوِيّ: "الشريعة: اسم للأحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشا ومعادا، سواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعة إليه.

والشرع كالشريعة: كل فعل أو ترك مخصوص من نبي من الأنبياء صريحا أو دلالة، فإطلاقه على الأصول الكلية مجاز، وإن كان شائعا، بخلاف الملل فإن إطلاقها على الفروع مجاز، وتطلق على الأصول حقيقة، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك؛ ولهذا لا تتبدل بالنسخ ولا يختلف فيها الأنبياء، ولا نطلق على آحاد الأصول."(١)

وقال ابن منظور"الشريعة والشِّرْعة: ما سَنَّ الله من الدين وأمر به، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر. مشتق من شاطئ البحر، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ} (٢)وقوله: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} (٣)، وقيل في تفسيره: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق.

وقيل: الشرعة والمنهاج جميعا: الطريق، والطريق هنا: الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أتى به بألفاظ يؤكد بها القصة والأمر...وقال ابن عباس: "شرعة ومنهاجًا": سبيلا وسنة. وقال قتادة: "شرعة ومنهاجًا": الدين واحد والشريعة مختلفة "(٤).

فالشرعة في الدين، والمنهاج في الطريق، وقيل الشرعة والمنهاج جميعًا الطريق، والطريق هاهنا الدين، وقيل الشرعة معناها ابتداء الطريق والمنهاج: الطريق المستقيم.

والمنهاج نهج: النهج الطريق الواضح، وقد نهج الأمر وأنهج إذا وضح، ومنهج الطريق ومنهاجه، ونهج الثوب وأنهج بان فيه أثر البلى، وقد أنهجه البلى، والمنهاج هو الطريق الواضح قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} (٥)

(١) الكليات لأبي البقاء الكَفَوِيّ ج٣ ص٥٦
(٢) سورة الجاثية آية ١٨.
(٣) سورة المائدة آية ٤٨.
(٤) لسان العرب ابن منظور ج٨ ص١٧٦
(٥) سورة المائدة آية ٤٨.

المبحث السابع: التعريف المذهب.

المذهب لغة:

المذهب من ذهب، يقال: ذهب ذهاباً وذهوباً ومذهباً ، أي: مرَّ.

وتطلق على :

١. ذهب بمعنى مضى.

٢. وذهب بمعنى مات.

وفي المعنيين يقال: ذهب الأثر، أي: زال وامّحى.

٣. وذهب بمعنى أزال.ومنه قوله تعالى: **(ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)** [١]، يقال: ذهبت به الخيُلاء، أي: أزالته عن وقاره.

٤. وذهب بمعنى توجه، يقال: ذهب إلى قول فلان، أي توجه إليه وأخذ به.

وذهب مذهب فلان: أي قصد قصده وطريقته.

وذهب في الدين مذهباً : أي رأى فيه رأياً أو أحدث فيه بدعة، والمذهب: الطريقة، والمذهب أيضاً : المعتقد الذي يذهب إليه صاحبه [٢].

ويذكر د. عوض الله حجازي أن المذهب لغة أعم من الدين ذلك أنه يشمل التعاليم المستندة إلى الوحي والشرع، كما يشمل المذهب ما يكون رأيًا ناشئًا عن شهوة [٣].

أما المعنى الاصطلاحي للمذهب:

فعرِّف المذهب بأنه: مجوعة الآراء والأفكار التي يراها أو يعتقدها إنسان ما، حول عدد من القضايا العلمية والسلوكية.[٤]

وجاء في المعجم الوسيط تعريف المذاهب بأنها: الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحده منسقة. [٥]

---

(١) سورة البقرة آية ١٧.

(٢) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج١ ص٣١٦ .

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام د. عوض الله حجازي ص١٧ .

(٤) الموسوعة الميسرة ج٢ ص١١٤٢، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٠.

(٥) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج١ ص٣١٧.

وجاء في المعجم الفلسفي أن " المذهب:الطريقة و المعتقد الذي تذهب إليه. و المذهب عند الفلاسفة مجموعة من الآراء و النظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطا منطقيا حتى صار ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة".

وذكر الجرجاني أن " المذهب الكلامي: هو أن يورد حجة للمطلوب على طريق أهل الكلام، بأن يورد ملازمة ويستثني عين الملزوم، أو نقيض اللازم، أو يورد قرينة من القرائن الاقترانيات لاستنتاج المطلوب، مثال قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (١)؛ أي الفساد منتفٍ، فكذلك الإلهية منتفية، وقوله تعالى أيضًا: {فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} (٢)؛ أي الكوكب آفل وربي ليس بآفل، ينتج من الثاني الكوكب ليس بربي" (٣)

ويقرر الجرجاني " أن الشريعة من حيث إنها تطاع، تسمى: ديناً، ومن حيث إنها تجمع، تسمى: ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها، تسمى: مذهبًا، وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب: أن المذهب منسوب إلى الله، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد" (٤).

وبالجملة فإن "المذهب" في تعبيرات العلماء المشتغلين بدراسة الأديان يعني: اعتقادات أهل الملل أو الفرق التي تقوم على الدين أو تتبع من أصل ديني أو تنتسب إلى دين بعينه ولو على سبيل الشبهة، وبهذا نفرق بين مذاهب الفلاسفة ومذاهب الفقهاء ؛ فمذاهب الفقهاء تقوم على الفروع، ومذاهب الفلاسفة تقوم على الآراء وتنبني على الأصول، ومذاهب علماء الكلام: تنبني على الاستنباطات الفكرية من الأصول العقدية، أما مذهب أهل الأديان أو الفرق فهى مذاهب واجبة التسليم والإيمان بها واجب عند أهلها.

(١) سورة الأنبياء آية ٢٢.
(٢) سورة الأنعام آية ٧٦.
(٣) التعريفات للجرجاني ج١ ص٢٠٨.
(٤) التعريفات للجرجاني ج١ ص١٠٥، ١٠٦.

الفصل الثاني

مقدمات ومبادئ في علم الملل والنحل

- ✓ المبحث الأول: علم الملل والنحل نشأته وصورته.
- ✓ المبحث الثاني: من فوائد دراسة علم المِلل والنحل.
- ✓ المبحث الثالث: حكم تعلم علم المِلل والنحل.
- ✓ المبحث الرابع: حاجة الإنسان إلى الدين.
- ✓ المبحث الخامس: مناهج دراسة الملل والنحل.
- ✓ المبحث السادس: نشأة العقيدة الإلهية.

المبحث الأول: علم الملل والنحل نشأته وصورته.

لقد اختلف الباحثون حول هذا العلم نشأة وغاية وتسمية وهل هو نافع أو ضار وكيف يقارن الحق بباطل وللوقوف على نشأه هذا العلم وللتعرف على صورته ينبغي أولا أن نحدد المفاهيم ونبرز المعاني للالفاظ التي يتألف منها هذا المدلول العلمي وما يسايره أملا فى الوصول إلي ماهو صواب.

نشأة علم الملل والنحل وتسميته:-

ذهب العلماء فى تحديد نشأة علم الملل والنحل وهذه التسمية وعرفة غايتها مذهبين:

فريق يقول بأنه غربي النشأة غربى التسمية والهدف، والإسلام لم يصنع شيئاً في تاريخ الأديان المقارن [١].

وذهب فريق أخر إلى أنه إسلامى أصيل كانت الصدارة فيه للمسلمين، والقرآن قدم المنهج والتصور العلمى الصحيح لهذا العلم، وما الغرب إلا ثمرة من ثمرات الحضارة الإسلامية العريقة [٢].

ونشير إلى هذا التقسيم ببعض ما قاله أصحاب كل فريق:-

يقول د / نوح الغزالى مثلا أن " علم مقارنة الأديان غربى بكل معنى يخطر على البال نشأة وغاية وهدفا وطريقة وأسلوبا... وهو وليد الصراع بين رجال النهضة فى الغرب والكنيسة ووليد عصر اضطراب واهتزاز وأريد به ضرب الكنيسة والقضاء على سلطانها الطاغى وولد علم مقارنة الأديان وفصيلة دمه كراهية الدين وبغضه وصارت المعركة بين الدين والإلحاد بعد ان كانت بين رجال الكنيسة ورجال العلم.. وهو يدرس هناك للتشكيك فى الدين... ولهدمه فى نهاية الأمر" [٣].

---

(١) انظر نشأة الديانة وتطورها الأب شميدت، الدين د. دراز، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د. رؤوف شلبي، التفسير الجاهلي د. نوح الغزالي.

(٢) انظر الفصل لابن حزم، الملل والنحل للشهرستاني، اليهودية د.أحمد شلبي، الحضارة الإسلامية آدم متز، منهج ابن حزم في مقارنة الأديان د.محمود حماية ص ١٣٧.

(٣) التفسير الإسلامى للجاهلية – د / نوح الغزالي ص٩٢.

وقد علل الدكتور / رؤوف شلبى قناعته بهذا الاتجاه لتحير كتاب الغرب – أصحاب هذا العلم – تجاه ظاهرة التدين فى سلوك الإنسان وخطئهم فى تفسيرها بالسبب الدافع... فضلاً عن قناعة الغرب بجعل العقلية الأوربية ميزان التفكير الصحيح مع أنه فكر مضطرب.([1])

وهذا يعنى أن تصور العلم كان وقفاً على نتاج العقلية الغربية وحدها.

أما لو تناولناه بالمعنى العام والمدلول العميق فستصل إلى ماهو أرجح – فى نظرى – وفقاً لنصوص القرآن وفعل الرسول ﷺ وتراث السلف وهو ماذهب إليه **الفريق الثانى**.

فينسب الأستاذ/ آدم ميتز نشأة هذا العلم للمسلمين، ويعدد المصادر الأولى التي كتبها المسلمون في هذا المضمار، وذلك في صفحات كتابه المهم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري

ويؤكد ميتز على أن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، ذلك التسامح الذي لم يسمع بمثله في العصور الوسيطة،كان سبباً في أن يلحق بمباحث علم الكلام شئ لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو علم مقارنة الأديان[2].

ويقرر كذلك أن نشأة هذا العلم لم يكن من جانب المتكلمين، ومعنى ذلك أن هذا العلم لم يكن بأي حال من الأحوال وسيلة عند المسلمين للحط من شأن الأديان الأخرى، وإنما كان دراسة وصفية علمية تؤدي إلى نتائجها الطبيعية.

ويقول د / أحمد شلبى" من مفاخر المسلمين أنهم هم الذين ابتكروا علم مقارنة الأديان وأن الاسلام وحده هو الذى ضمن وجوده لما حوى من تشريع إلهى حكيم وأن القران الكريم وضع جذور هذا العلم فالمجادلة بالحسنى هى مفهوم هذا العالم وقد دون هذا العلم فى القرن الثانى الهجرى كغيره من العلوم والمؤلفات فى ذلك خير شاهد ودليل".[3]

١– يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د. رؤوف شلبى ص ٩، ١٤.

٢– الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز ج١ ص٣٦٦.

٣ – اليهودية د / أحمد شلبى بتصرف ص ٢٥ – ٢٨.

ويصرح د/ محمد عبدالله دراز بذلك فيقول عن هذا العالم " أصبح فى كتب العرب دراسة وصفية واقعية شاملة لكافة الأديان المعروفة فى عهدهم فكان لهم بذلك فضل السبق فى تدوينه علما مستقلاً قبل ان تعرفه أوربا الحديثة بعشرة قرون "[١].

بل ويرجع إليهم الفضل فى اتباع المنهج العلمى السليم فيقول أنهم " كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها ويستقونها من منابعها الأولى".[٢]

كذلك يقرر د. محمد عبد الله الشرقاوى أن " علم مقارنة الأديان أوالجدل الدينى ضد اليهود والنصارى بخاصة قد حظى بعناية فائقة من كبار العلماء المسلمين ولا شك فى ان عنايتهم بعلم مقارنة الأديان كانت ثمرة لتوجيهات القران الكريم عنايته بهذه الناحية"[٣].

ثم يعلل تناول القران لهذه القضايا بقوله "وما ذلك إلا لأن عرض العقيدة الصحيحة وتثبيتها ودعوة الناس إليها لا يكون بمعزل أبداً عن مناقشة العقائد والمذاهب الباطلة وإماطة اللثام بالحجج والبراهين عن خللها وخطلها وزللها ووهاء مبناها وتهافت دعواها وبضدها تتميز الأشياء كما يقال.[٤]

وكان هذا الدافع والسبب هو الموجه لأعلام علماء المسلمين قديما للكتابة فى هذا الميدان.[٥]

وبعد هذه الإشارة نجد الممثلين **للإتجاه الأول** يتناولون هذا العلم بالدراسة والتأليف والتدريس وهذا إقرار بجداوه وجهدهم الطيب وهم يرجعون فى ذلك إلى ضوابط هى عينها مافى المنهج القرانى وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من ان نظرتهم هذه نتيجة واقع نتاج الغرب وحدهم فى هذا الميدان ويدلل على ذلك ماقاله مثلا

١- منهج ابن حزم في مقارنة الأديان د/ محمود علي حماية ص ١٤٢ – ١٤٤، هامش ص ١٣٧، وانظر الدين د/محمد عبدالله دراز ص ١٤.

٢- المرجع السابق.

٣ – مقدمة الرد الجميل للغزالى تحقيق د / محمد عبد الله الشرقاوى ص ٤٧.

٤- مقدمة الرد الجميل للغزالى تحقيق د / محمد الشرقاوى ص ٤٧.

٥- راجع مقدمة كتاب الفصل لابن حزم، والملل والنحل للشهرستاني، والأعلام للقرطبي ص٤٣٨-٤٣٩.

د.نوح الغزالي متفرقا فيقول سوف ننتفع بتلك الخامة التى جموعها للتشكيك فى الدين لنرى نحن منها انها أدل الدلائل على تدعيم الدين وتعضيده. [١]

ويقول كذلك إنه علم ذو حدين وهذا دليل على انه هو نفسه صالح وصادق لأنه يشارك العلوم – كل العلوم– فى هذه الحقيقة والخطا دائماً ليس فيه هو وإنما يتمثل الخطأ فى الشخص نفسه...اعنى أن الخطأ فى المقارن بكسر المراء لا فى المقارن بفتح الراء ولا ضمير اذن[٢].

وعليه فيشير إلى قناعته بهذا العلم وجدواه ويدلى بدلوه فيه فيقول:

" لا ضير اذن من أن يتسلل هذا العلم – مقارنة الاديان – الي المجتمع الاسلامي مع ما تسلل إليه من فتوحات الحضارة طالما قام المقارن بدور النحل لا بدور الحمار.. اعني دور المنتقي المنتخب الهاضم المميز الواعي لا الذي ينتهي دوره عند الترديد والتلقين فهو بالببغان أشبه منه بالداعية"[٣].

وعلي هذا فإن علم المقارنة الأديان في **منهجه وجوهره علم اسلامي** فيه " قدم القرآن الكريم الدرس المنهجي الموضوعي الاول في مجال مقارنة الاديان ولقد حفل القرآن الكريم بالحديث المفصل المستوعب عن الاديان والعقائد والملل والنحل والمذاهب المختلفة المتنوعة وعرض مقالاتهم بدقة واستقصاء ثم ناقشها وبين وجوه الزلل والخطل والبطلان والزيف فيها وقارن بينها وبين الدين الصحيح الذي أرسل الله به رسله عليهم الصلاة والسلام "[٤].

١– التفسير الإسلامى للجاهلية د / نوح الغزالي ص ١٠.
٢ – التفسير الإسلامى للجاهلية د / نوح الغزالي ص ١٦
٣ – التفسير الإسلامى للجاهلية د / نوح الغزالي ص ١٧.
٤ انظر الرد الجميل للغزالى تحقيق د/محمد عبد الله الشرقاوى ص١٧.

فيمكننا أن نتلمس جذور علم الملل والنحل في القرآن الكريم،وفي السنة المطهرة:

أما القرآن الكريم:

فيقول الله سبحانه وتعالى:﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(١)، فالمجادلة أو الحوار بالتي هي أحسن جوهر هذا العلم، بل من أهم أسسه وأركانه، بل ورد في القرآن الكريم بعض الآيات التي تحمل اتجاه المقارنة كقوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾(٢) فالآية تقارن بين التوحيد والتعدد، مع بيان التعدد يسبب الفساد.

كذلك في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ**﴾(٣)، نوع من المقارنة ؛ فالخالق الأعظم لا يمكن أن يماثله هذا النوع من الآلهة العاجزة التي لا تستطيع أن تخلق ذبابا، ولو اجتمعت كلها لهذا الغرض.

وفي القرآن الكريم حديث موسع عن الأديان، سماوية كانت أو وضعية، فقد تحدث عن اليهودية، والنصرانية، وتحدث عن عبده الأصنام والطاغوت والملائكة وسماها أديانا مع بطلانها. قال تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾(٤).

وأما السنة المطهرة:

فقد جرت مناقشات بين الرسول ﷺ وبين اليهود والنصارى حول مسائل من الدين متفرقة.

منها: ما دار من مناقشات بينه ﷺ وبين اليهود حول أمر الروح (٥)،وأمر التوراة(٦).

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٣) سورة النحل: الآية ١٧.

(٤) سورة الكافرون: الآية ٦.

(٥) راجع: فتح الباري. كتاب التفسير، سورة الإسراء باب (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ): ٨ / ٤٠١، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح برقم: (٢٧٩٤): ٤/ ٢١٥٢.

(٦) راجع: الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ٥/٢٩١ – ٢٩٢، مختصر تفسير ابن كثير الصابوني: ٢/ ٣٩٧ – ٣٩٨.

ومنها: ما دار من مناقشات بينه ﷺ وبين نصارى نجران [1]، و(عدي بن حاتم الطائي)[2] الذي كان قد اعتنق المسيحية.

وعلى إثر هذه المناقشات الهادئة دخل الإسلام من اليهود بعض قادتهم، مثل "عبدالله بن سلام"، و"ثعلبة بن سعيد" ،"أسد بن عبيد"، كما دخل الإسلام كثير من نصارى نجران، وقد أعلن "عدي بن حاتم الطائي" بعد المحاورة التي تمت بينه وبين الرسول ﷺ دخوله الإسلام، وتبعه قومه.

وعلى هذا فإننا نرى أن من مفاخر المسلمين أنهم هم الذين ابتكروا علم الملل والنحل، أو بمعنى آخر وضعت أسس (الحوار الفاعل بين الأديان)، ومن الطبيعي أن هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام، لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالأديان الأخرى، وكان كل دين يعد ما سواه من الأديان وما تطرحه من أفكار نوعاً من الهرطقة والضلال.

فمن الطبيعي أن هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام، لأن المقارنة تحتاج إلى تعدد، والأديان قبل الإسلام لم يعترف أيٌ منها بالأديان الأخرى ؛ إذ كان كل دين يَعُد ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلالا.

فاليهودية لم تعترف بالمسيحية ولا بالسيد المسيح، واعتبرت المسيح مجرد ثائر استحق عندهم الحكم بالإعدام، والمسيحية اعتبرت نفسها الوريث الشرعي لليهودية، ولم تر مع وجودها وجوداً لليهودية، ومثل ذلك موقف الهندوسية من البوذية، والبوذية من الهندوسية، ومثله موقف المسيحية من الإسلام في الأندلس.

بل وصل الأمر إلى أكثر من إذ أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة إلى نفس الدين، وعدت اتجاهاتها وأفكارها هرطقة وضلالاً، وربما حكمت كل منها بالإعدام على أتباع سواها، ومن هنا لم

---

(١) راجع: جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري. ٤٧٩/٦ – ٤٨٠ ط٢. ١٩٧٢ م بيروت: دار المعرفة، الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للسيوطي. ٢٢٩/٢ – ٢٣٣. دار الفكر. بيروت ١٩٨٣م، وابن كثير: ٣٧٢/٣٧١/١، محمد رسول الله سيرته وأثرة في الحضارة. جلال مظهر ص٣٨٠ نشر مكتبة الخانجي بمصر.

(٢) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي. د. أحمد شلبي ٤٢٦/١ وما بعدها ط١٤، المناهج الإسلامية د.أحمد شلبي ص ٩٨ وما بعدها.

يوجد علم مقارنة الأديان، لأن المقارنة تأتي نتيجة للتعدد، وليس التعددية معترف بها عند أحد، فلم يوجد ما يترتب عليه وهو المقارنة.

وعندما جاء الإسلام كان موقفه بالنسبة للأديان الأخرى موقفا فريدا، إذ أعلن أنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان وأنه بالتالي ورث أهم ما في الأديان، وأضاف ما تحتاجه البشرية في مسيرتها إلى يوم الدين.

قال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(١).

بذلك أصبح الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا دين سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾(٢)، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣).

والمؤمنون على بكرة أبيهم لا يفرقون بين أحد من رسل الله، بل يقرون بجميع الرسالات السابقة، فكل رسول يجيء برسالة تناسب زمانه، وتحقق أغراضها وأهدافها في ذلك الزمان، وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة جديد يتفق مع الأديان السابقة ويلتقي مع الرسالة الخاتمة في الأصول، وإن اختلف في بعض الفروع تبعا لحاجات الناس ؛ إذ كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة برسالة تناسب زمانهم وأحوالهم.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(٤)

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۞ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾(٥)، فالكفر بأي دين من الأديان التي نزلت قبل الكتب المشار إليها ضلال بين يستحق مرتكبه العذاب الشديد.

---

(١)سورة الشورى الآية: ١٣.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(٥) سورة آل عمران: الآيات ٢-٤.

ومن الناحية الواقعية العملية فإن الإسلام يعترف بالوجود الفعلي لجماعات غير مسلمة (أي أنه يعترف بالأخر ولا يرفضه أو ينكره)،ويتحدث عن أهل الكتاب، وأهل الذمة، وينظم جميع حقوقهم وواجباتهم، وفي ضوء هذا وجد علم الملل والنحل.

تدوين علم الملل والنحل:

بات واضحا أن علم الملل والنحل علم إسلامي النشأة، ثم لما جاء عصر تدوين العلوم الإسلامية في منتصف القرن الثاني الهجري بدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث وغيرها أخذ علم الملل والنحل مكانه بين العلوم الإسلامية، فألف فيه المسلمون.

ومن المشاهير الذين كتبوا في الملل والنحل: النوبختي المتوفي٢٠٢هـ الذي يعتبر كتابه الآراء والديانات أول كتاب في هذا المجال.

ويأتي بعده المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ، فقد كتب كتابين عن الديانات، ثم العلامة المسبحي المتوفى سنة ٤٢٠هـ صاحب كتاب: درك البغية في وصف الأديان والعبادات بسط فيه الكلام، إذ يقع في حوالي ثلاثة آلاف ورقة.

ثم كثر بعد ذلك التأليف في هذا الميدان، فكان كتاب: الملل والنحل لأبي منصور البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ، وكتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ، وكتاب:الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنه ٥٤٨هـ، وغيرها من الكتب التي عنى مؤلفوها بالكتابة في الملل والنحل.

كذلك من المؤلفات الجديرة بالاهتمام في العصر الحديث في علم الملل والنحل كتاب إظهار الحق للشيخ / رحمت الله الهندي، وهو لا يزال بحق مرجعا فريدا في مجال المناظرة بين المسلمين والنصارى، وكتاب محاضرات في النصرانية للشيخ/ محمد أبو زهرة التي تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى، وفي كتبهم ، وفي مجامعهم المقدسة، وفرقهم، وسلسلة مقارنة الأديان

للدكتور / أحمد شلبي، وسلسة دراسات في الأديان للواء المهندس/ أحمد عبد الوهاب، وغيرها مما يضيق عن نطاق الحصر.

وجدير بالذكر أن هذا العلم لم يكن عند المسلمين وسيلة للحطَ من الأديان الأخرى، وإنما كان دراسة وصفية، لا تعصب فيها، تنتهي إلى نتائجها الطبيعية، مما كان سببا في دخول الألوف بل الملايين في الدين الإسلامي(١).

المبحث الثاني: من فوائد دراسة علم المِلل والنحل.

إن اهتمام العلماء بعلم الملل والنحل أو مقارنة الأديان يدل دلالة واضحة على أهمية هذا العلم ومكانته العظيمة بين العلوم الإسلامية الأخرى، فهو علم كبير الفائدة للإسلام

- ✓ كذلك فإن علم الملل والنحل يقدم للمسلم معرفة بقيمة المكانة العظمى للقرآن الكريم بين الكتب الاخرى، وكذلك عن التشريع الإسلامي والعقائد الأخرى لأن الأديان السماوية من منبع واحد هو الله ﷻ والإسلام خاتمتها ولذلك كان أشمل وأكمل، فمن طبيعة اللاحق أن يستفيد بالسابق وأن يضيف جديداً إليه، ومع أن الأديان من الله فإن الله تعالى أعطى الدواء بقدر المرض فكان يعطي البشرية من الهدى والتوجيه بقدر ما تحتمله البشرية وما يناسب عودها الذي بدأ ضعيفًا ثم اشتد رويدًا رويداً حتى اكتمل نموه. (٢)
- ✓ كذلك فإن دراسة الملل والنحل تبرز للفرد وحدة الدين في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فالدين السماوي واحد، صادر من عند الله ﷻالواحد، أرسل الله به كل رسله وأنبيائه إلى خلقه في صورة رسالات متعددة، وليست أديانًا متعددة أو مختلفة، وإن وقع الاختلاف فهو تنوع لا تضاد يقع في الشرائع، وليس في المعتقدات، وفي الفروع وليس في الأصول.

(١) راجع: اليهودية د.أحمد شلبي ط١١ مكتبة النهضة المصرية طبعة ١٩٩٣م ص ٣١-٣٢.

(٢) راجع تاريخ المناهج الإسلامية د/ أحمد شلبي، ص ١٠٢.

وهذا الاختلاف في الشريعة لم ينتج عن ضرورة ذاتية في الدين نفسه، ولكنه أتى نتيجة لظروف الأقوام الذين نزل عليهم هذا الدين، ونتيجة لاختلاف هذه الظروف.

فلقد كانت البشرية في أول عهدها ساذجة لا تستطيع أن تتلقى الدين كاملا، أو تحمل الأمانة مستوفاة ؛ ولذلك كان من رحمه الله أن ينزل على كل أمة من الشريعة ما تطبق، وأن يكلفها من الأعمال ما يتفق مع ظروفها، وما يتواءم مع ما وصلت إليه من كمال.

وسار أمر الشريعة على هذا المنوال: كلما بعث رسول نزل عليه من الشريعة قدرا أكمل وأتم من الشريعة السابقة، ومازال هذا أمر الشريعة، تسير قدما في طريق الكمال، كلما اقتربت الإنسانية من كمال رشدها حتى جاء الوقت الذي وصلت فيه الإنسانية أوج كمالها، فبعث الله إليها خاتم رسله، ومعه أكمل الشرائع وأتمها وأشملها وأعمها بعث الله سيدنا محمد ﷺ بشريعة الإسلام، وأنزل عليه قوله ﷻ ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ (١).

كذلك فإن دراسة الملل والنحل تظهر أن الله ﷻ هو المتفرد بحق التشريع، وأنه جعل لكل من الرسل شرعة ومنهاجا.

- ✓ تفهيم الناس إن ما كان من عند الله سبحانه لا يختلف ولا يتعارض وما كان من عند البشر فيه اختلافات كثيرة، فالدين الوضعي نشأ أساسا نتيجة أفكار بشرية، والعقل في الإنسان يختلف من فرد إلى فرد، ومن أمة إلى أمة، ويختلف من حيث الزمان والمكان، فكان من الطبيعي أن تختلف معطياته من مذاهب، أفكار، وآراء، ومن أديان وضعية.
- ✓ كذلك فإنه يقدم للمسلمين معرفه قيمه عن الإسلام وقوة دليله ونصاعة برهانه ومتانة حجته ويسر كتابه ومكانته العظمى بين الكتب الأخرى، فالمسلم عندما يقرأ الكتب المقدسة عند غيره سيعرف المكانة العظمى للقرآن الكريم بين هذه الكتب، سواء في جانب العقيدة، أو التشريع، أو غيرها، كما سيعلم قيمة القرآن الكريم في الحفاظ على الإسلام بخلاف الأديان الأخرى حرفت بسبب ضياع أو تحريف كتابها المقدس.

(١) سورة المائدة آية ٣.

- ✓ كذلك فإنه يقدم للمفكرين المسلمين أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه في العصر الحاضر ليس فقط تحديات الأديان الأخرى فقد بدأت تقيم معه حواراً مبدئياً وإنما أيضًا تحدي الحركات الإلحادية الكبرى المنتشرة في العالم والتي تطرق بقوة المجتمع الإسلامي. (١)
- ✓ يقدم للمسلم معرفة عن تاريخ كل دين وما حدث به من خلل أو انحراف خلال رحلته التاريخية الطويلة ؛ فالمسيحية الحالية ليست مسيحية عيسى عليه السلام على الإطلاق، وأن اليهود جعلوا تاريخهم بعض دينهم، وأن المحاولات التي جرت للانحراف بالإسلام قد فشلت تماماً، وحافظ ديننا على نقائه بفضل القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ الصحيحة، وأن ما دخل عليه من إسرائيليات أو استشراقيات هي الآن هدف هؤلاء الباحثين للقضاء عليها.(٢)
- ✓ يقدم للمسلم معرفة عن بُعد كثير من المسلمين عن دينهم الصحيح. (٣)

فدراسة الملل والنحل تشجع الباحث على فهم طبيعة الإسلام والبحث عن أسباب بعد المسلمين عنه ووضع أسباب علاج هذا الأمر كي يعود المسلمون لدينهم الصحيح وعقيدتهم النقية.

- ✓ هذا العلم يعقد المقارنات بين الإسلام من جهة وكل من اليهودية والمسيحية من جهة أخرى، ويؤكد ثقة المسلم في دينه من مقومات الأفضلية أما بالنسبة إلى غير المسلم من أبناء الدينيين الآخرين فهو طريق إلزامي له أهميته البالغة في إثبات تفوق الإسلام على هذين الدينين واستئثاره من دونها بعناصر الصلاحية (٤).
- ✓ إنه دارس الملل والنحل يميز بين الحق والباطل من الأديان، ويسمح للباحث إلى أن يقف على حقيقة العقائد ومدى صحتها ومدى انحرافها عن أصولها ومنابعها، وبالتالي يكون لديه حاسة رد الأمر إلى نصابه ومعرفة الأسباب والدوافع التي أدت إلى تحريف الأيان والعقائد.

---

(١) راجع مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية د/ حامد طاهر ص ٢٥.
(٢) راجع مقارنة الاديان، اليهودية د/أحمد شلبي ص ٣٣.
(٣) راجع مقارنة الاديان، اليهودية د/أحمد شلبي، ص ٣٤.
(٤) راجع مقارنة الاديان، اليهودية د/أحمد شلبي، ص٣٤.

- ✓ إنه سلاح للمسلمين في الحاضر كما كان سلاحاً لهم في الماضي للدفاع عن الإسلام في مواجهة أصحاب الأديان الأخرى الذين هاجموا أو حاولوا الطعن فيه بجانب تحديات الحركات الالحادية المنتشرة في العالم، لأن علم مقارنة الأديان يكشف الحقيقة أمام الباحثين من خلال المقارنة التي تعتمد على النصوص الموجودة أمامهم.
- ✓ أنه ينمي في الدارس القدرات العقلية وسعة الأفق إذ انها تقوى لديه ملكة التحليل والمقارنة والرد على الآخرين وتنمي في الباحث القدرة على بيان الحق وإقامة الحجة عليه.
- ✓ إن الداعيه الناجح لا يستطيع أن يدعو غير المسلمين بالتى هى أحسن إلا إذا درس ما عندهم من ديانات ووقف على الملل والنحل التى يدين بها غير المسلمين لذا كان من واجب الداعيه ذي البصر النافذ والبصيره أن يقف على الأمور من حوله.
- ✓ إن دراسة علم مقارنة الأديان واجب علمى تقتضيه الضروره الملقاه على عاتق الدعاة لتوضيح الحق للناس بطريق علمى سليم بعيد عن الأهواء.
- ✓ دراسة علم الملل والنحل تنمي ملكة الوقوف على الشبهات وتفنيدها.

هدف إثارة الشبهات إنما يقوم أساساً للتشويه فكان لابد من الدراسة والرد وأن الذي يقوم بهذه خاصة وأن الحوار ليس من طرف واحد بل من حق الآخر التساؤل والنظر لما كانت الشبهات تثار سواء عن عدم الوضوح أو يهدف للتلبيس والتشويش كان من الضروري الوقوف على هذه الشبهات وتفنيدها.

- ✓ اختبار الملل والنحل بميزان العقل الصحيح كي يكون حكم الباحث صحيحاً ويتوافق اعتقاده مع ما يتخذه من عقيدة ودين يدين به بحيث لا يكون ملما بتناقض فيما يعتقد فإن أي عقيدة تطالب أصحابها بالإيمان بوجود أمر مستحيل عقلا أو تنكر وجود أمر واجب عقلاً هي عقيدة باطلة، خاصة وأن الأنسان قد يشب على اعتقاد فاسد أو يخدع فيفقد التمييز بين الخطأ والصواب وقد يصل إلى مرحلة يظن فيها أن ما هو عليه صواب وضوح خطأه وفي بعض الأحيان قد يكون من ضوابط اعتقاده أن يدين بمنطق خذ وأنت أعمى.

لذلك كان القرآن يدعونا إلى أن أول واجب على المكلف **(قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۞ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)** (١).

ودراسة الملل والنحل تظهر للإنسان حال الأديان حقيقة لأهل الملل والنحل لرؤية ما يمكن أن يوجه إلى دينهم من نقد ومدى إمكانية الرد عليه من عدمه وسيتجلى حينئذ الحق من الباطل. بالإضافة إلى التمييز بين الحق والباطل من الأديان، والتصدي لأعداء الدين الحق وإعاقة حركتهم.

- ✓ إن دراسة علم الملل والنحل تنمي لدى الفرد الالتزام والحرص على استخدام المنهج العلمي السليم لكي يصل الباحث إلى الحقيقة التي تقوم على اليقين بعيدا عن الظنون والأوهام.

فيجب على الباحث الإلتزام بالقواعد الأساسية في دراسة الأديان مثل:

الموضوعية والنزاهة في العرض، وأن يستقي الباحث أخبار كل ديانة من مصادرها الموثوق بها، وتصوير رأي الخصم بحسب اعتقاده، وتحرير محل النزاع قبل بدأ الحوار، والتزام الاداب قبل الحوار؛ من منطلق قوله تعالى **(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** (٢).

كذلك الحياد التام بلا انحياز لدين أو مذهب، والحياد العلمي يقتضي الاحاطه بالموضوع من كافة جوانبه، ومعرفة كافة الآراء التي تدور حول الموضوع، وعقد مواجهة بين الآراء المختلفة في الموضوع وإيراد مناقشته، وتفحص أدلة كل فريق واكتشاف مدى صدق وأحقية كل منها.

وتسجيل القرار الذي يرتضيه الباحث بعد مناقشة كل الآراء وتحليلها مدعمًا بأدلته، مبينًا سبب قراره، وسبب ترك ما عداه وبهذا يكون الحياد العلمي، وبذلك تفسر الدراسة في جو موضوعي سليم خال من السب والانتقاص بعيد عن اهمال الغير، ولا يعتمد على الأخبار المحتملة للصدق والكذب أوالظنون أو ما شاع عن الديانة التي قد تنحرف قليلا أو كثيرًا عن حقيقة الديانة التي يدرسها.

- ✓ من خلال دراسة الملل والنحل يتعرف الباحث على الأديان ومقدار ما بينها من صلة.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٨، ١٤٩.

(٢) سورة النحل آية ١٢٥.

فيتعرف على جوانب الشبه وأسباب وجوده ليستخرج مثلا الحكم بطريقة الإيمان بوجود الخالق أو الحكم بالاحتكاك والتأثر بين بعضها بعضاً ؛ فمثلا حين نجد التشابه بين عقيدة التثليث عند الهندوس فيما يتعلق بالآلهة براهما، وسيفا، وفشنو، وعقيدة الفداء عند من يقولون بألوهية كرشنا، ونجد تشابها بين عقيدة النصارى في القول بالتثليث الأب والابن والروح القدس وعقيدتهم في ألوهية المسيح، وأن صلبه كان لفداء العالم، يستدعي هذا البحث عن منشأ ذلك الشبه فإذا وجدنا أن عقيدة الهندوس أقدم من النصرانية بثمانية قرون على الأقل وأن هناك مجالات لتعلم بعض الداعين للنصرانية من تلك العقيدة كانت النتيجة احتمالاً قريبا من اليقين بأن النصرانية في حالها المعروف والتي تأثرت في تكوينها بعقائد وفلسفات وثنية – قد تأثرت بالهندوسية فنقلت منها بعض عقائدها.

✓ من خلال دراسة الملل والنحل يتعرف الباحث على اماكن وأزمان كل دين.

وهذه فائدة تعطينا أهمية الدراسة الوصفية للأديان وأن لا يحتقر أحد معلومة يعرفها هنا أو هناك فيبلغها لمن يأتي بعده عملا بحديث النبي ﷺ بلغوا عني ولو آية فرب مبلغ أوعى من سامع وفي رواية فرب حامل معه ليس بفقيه وفي رواية فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه(١).

✓ إبراز جوانب الاتفاق والاختلاف بين الملل والنحل.

إن علم الملل والنحل هو الذي يظهر مواطن الشبه أو الاختلاف وأسس كل دين وأصل كل عقيدة حتى لا يطلب من أحد ما لا يتوافق مع عقيدته بداعي التعاون فيقابل بالرفض.

(١) الحديث ورد في رواية البخاري كتاب الحج باب الخطبة أمام منى وورد في مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص.

المبحث الثالث : حكم تعلم علم المِلل والنحل.

إن قيام الرسول بالتبليغ والدعوة لهداية الناس أمر لازم تقتضيه طبيعة النبوة وقد أكد ذلك القرآن الكريم قال ﷻ ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[1] فقيام الرسول بالإبلاغ واجب عليه ﷺ، وكذلك وجود من يستكمل القيام بالدعوة والبلاغ فإن حكمه واجب أيضًا على مجموع الأمة وليس على كل فرد من أفرادها **فهو فرض كفاية.**

فالمسلمون مأمورون بالدعوة إلى الله تعالى، ونشر الإسلام، وتبليغ الدين الحق للآخرين، كما قال :ﷻ**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن)** [2]. وقالﷻ **(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** [3].

وفيما رواه البخاريَ عن النبي ﷺ أنه قال:(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) .

وما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺأنه قال(أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ).

وما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺأنه قال :(ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم).

ولا شك أن هذه الدعوة تتطلب عقد مجالس للحوار، والنقاش، وعرض الإسلام، وإبطال ما خالفه من الأديان والمذاهب،و الوقوف على الشبهات وتفنيدها والفائدة المرجوة منه هو :تنفيذ المسلم لأمر ربه في الدعوة والتبليغ،وحصول الهداية للمدعو،و إقامة الحجة عليه ليهلك من هلك عن بينة.

والداعيه الناجح لا يستطيع أن يدعو غير المسلمين بالتى هى أحسن إلا إذا درس ما عندهم من ديانات ووقف على الملل والنحل التى يدين بها غير المسلمين لذا كان من واجب الداعيه ذي البصر النافذ والبصيره أن يقف على الأمور من حوله.

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧.
(٢) سورة النحل آية ١٢٥.
(٣) سورة يوسف آية١٠٨.

ونستنتج من كل ما سبق أن دراسة وتعلم علم الملل والنحل يكون فرضا كفائيا ؛ وهو يعني أنه إذا قام به البعض ممن تستكمل بوجودهم المهمة خرج الجميع من الإثم، وإن لم يقم به أحد أو قام به العدد الذي لا يكفي أثم الجميع.

وإذا كان من تمام القيام بهذا الواجب الكفائي معرفة اعتقاد الناس وأديانهم، فإن ما لا يتم الأمر إلا به يأخذ نفس حكمه، فيكون واجبا على الكفاية، طبقا للقاعدة المطردة في أحكام الشرع.

ونلحظ هذا في قول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[1] "وعلى هذا التقدير يكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول للتفقه والتعلم.

فإن قيل: أفتدل الآية على وجوب الخروج للتفقه في كل زمان؟

قلنا متى عجز عن التفقه إلا بالسفر وجب عليه السفر، وفي زمان الرسول ﷺ كان الأمر كذلك لأن الشريعة ما كانت مستقرة بل كان يحدث كل يوم تكليف جديد وشرع حادث، أما في زماننا فقد صارت الشريعة مستقرة" [2].

هذا وقد اشتملت السيرة النبوية على دلائل تدل على فهم أديان المخالفين من أصحاب الملل والنحل ومعرفتها ومناقشة عقائدهم.

فالنبي قد أجاب عن أسئلة اليهود عندما سألوه عن الروح وعن خزنة جهنم...وغيرها، وناقش وفد نصارى نجران[3].

ففي الحديث عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**هَكَذَا** تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: «أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا،

(١) سورة التوبة آية ١٢٢.
(٢) التفسير الكبير للإمام الرازي، ج ١٦ ص ١٩٦.
(٣) راجع سيرة ابن هشام ص ١٥٨ وما بعدها، عيون الأثر ج١ ص٢٥٧ وما بعدها، سيرة ابن كثير ج٤ ص١٠٠ وما بعدها.

فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**} [المائدة: ٤١] إِلَى قَوْلِهِ {**إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ**} [المائدة: ٤١]، يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**} فِي الْكُفَّارِ كُلِّهَا. (١)

وفي الحديث أن عدي بن حاتم الطائي قدم على النبي ﷺ فسمعه يقرأ قوله تعالى﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـهِ** ﴾(٢) فقال لسنا نعبدهم فقال ﷺ (أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ) وفي رواية (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه؟) قال قلت: بلى، قال: (فتلك عبادتهم).

فانظر إلى معرفة النبي ﷺ بما عليه اليهود والنصارى حتى إنه نبه عديا إلى ما كان في دينه من الأفكار والمعاني مما كان خافيا عليه.

إن معرفة ديانة المرسل إليهم ضرورية للتعرف على الوسيلة المناسبة للتواصل مع المدعوين.

وقد ورد أن معاذ قال بعثني رسول الله ﷺ قال (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ

(١) رواه مسلم الحدود ١٧٠٠، سنن أبي داود الحدود ٤٤٤٧، مسند أحمد ج٤ ص٢٨٦، ٢٩٠، ٣٠٠.

(٢) سورة التوبة آية ٣١.

فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ). (١)

فلاحظ توجيه النبي ﷺ والاهتمام بمعرفة ديانة المرسل إليهم لتعرف أهمية المعرفة بدين المدعوين.

فمن هنا نصل إلى أهمية أن نتعلم هذا العلم، **وأنه فرض كفاية على الأمة؛ أما على مستوى الأفراد فقد يكون الحكم واجبا، أو مندوبا، أو مباحا، أو مكروها، أو حراما على حسب حال كل إنسان وقدرته العقلية وحاجاته الشخصية.**

فالعالم الذي يقوم بمحاورة أصحاب دين ما ودعوتهم، يكون تعلمه لما هو عليه واجبا في حقه، والفرد الذي قد ينتقل ليعيش في وسط مجتمع آخر يخالف أفراده دينه ويخشى عليه الفتنة يصبح الأمر واجبا عليه.

أما الشخص الذي قد لا يستطيع عقله أن يفهم حقيقة هذه الأديان والملل ووجوه الخطأ فيها، والذي لم يبلغ من العلم ما يستطيع دفع الشبهة عنه، أو لا يستطيع الوصول لمن يدله على الصواب، يصبح النظر في هذا العالم وتعلمه حراماً.

لكن تبرز لنا شبهه خلاصتها أنه إذا كان الأمر كذلك فلماذا ورد النهي عن النظر في كتب السابقين فقد ورد أن النبي ﷺ نهى عمر بن الخطاب عن النظر في كتب السابقين وعمر من هو عمر في عقله وفهمه وعلمه فلا يمكن أن يخشى عليه

ففي المسند والبزار عن جابر رضي الله عنه أن عمر أخذ صحيفة من يهودي، وجاء بها إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وبدأ يقرأ منها، فتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب أما تنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم" :أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والله لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي ."

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١ ص١٩٥ – ١٩٩.

وفي رواية أخرى "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني"

وفي رواية أخرى وقال " أمتهوكون فيها يابن الخطاب فوالذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني".

والرد على هذه الشبهة فيما يأتي:

١- أن هذا النهي إنّما كان لأجل اهتمام عمر به وانشغاله حتى إنه ورد في بعض الروايات أنه استأذن النبي ﷺ في كتابتها فكان هذا فيه من الانشغال عن الواجب والأهم وهو كتابة القرآن ومدارسته مع قلة الكتبة بين الناس وإذا كان النبي ﷺ نهى عن أن يكتب أحد من حديثه شيئا غير القرآن وأن من كتب شيئا غير القرآن فليمحه وذلك لئلا ينشغل الناس عن القرآن وإن لا يختلط بالقرآن غيره فكان من الأولى النهي عما لا فائدة من كتابته أو مدارسته.

٢- أن هذا النهي إنّما قرر لئلا يظن أحد أن في دين الإسلام نقصا فيحتاج لجبره بالنظر في الكتب المتقدمة ويؤيد قول الرسول ﷺ (أمتهوكون فيها) **يعني** أمتحيرون أنتم في الإسلام أو لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من غيركم.

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه: (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث، تقرؤونه محضاً لم يُشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم) [١] وقوله: "محضاً لم يُشب" أي لم يخالطه غيره.

٣- أن المسلم يؤمن بأن ما في أيدي أهل الكتاب اليوم من التوراة والإنجيل قد دخله التحريف بالزيادة والنقصان، والتبديل والتغيير في مواضع كثيرة منه؛

(١) رواه البخاري برقم: ٧٣٦٢

مثل ما اشتمل عليه العهد القديم من الطعن في ذات الله تعالى، والتنقص لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ليس من كلام الله تعالى، وقد شهد الله تعالى على أهل الكتاب بهذا التحريف والتغيير فقال: **(أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (١)، وقال: **(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)**(٢)وقال: **(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)** (٣)، وقال: **(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)** (٤)، وما سلم من التحريف فلا حاجة للمسلم للنظر فيه، لكون القرآن أتى ناسخاً ومهيمناً على ما سبق من الكتب، كما قال الله تعالى: **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)** (٥).

٤- أن النبي علم أصحابه فيما رواه البخاري عن أبي هريرة (ألا يصدقوا أهل الكتاب ولا يكذبوهم) (٦) وهذا دليل على صلاحية المجادلة والمقارنة ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

٥- أن هذا النهي إنما كان لئلا يتساهل العوام في قراءتها حين يروا عمر مكبا عليها وقد تختلط الأمور في أذهان الضعفاء فكان سد الذرائع أولى.

٦- أن النهي في هذا الحديث لا يستلزم النهي عن معرفة أديان هؤلاء ؛ لأن الأدلة قامت على جواز هذه المعرفة وخصوصا للحاجة إليها لإقامة الحجة والدليل.

---

(١) سورة البقرة آية ٧٥.
(٢) سورة البقرة آية ٧٩.
(٣) سورة المائدة آية ١٣.
(٤)سورة [النساء آية ٤٦.
(٥) سورة المائدة آية ٤٨.
(٦) فتح الباري حديث ٧٥٤٢ ص٥٢٥، الاعتصام بالكتاب والسنة باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ ج٤ ص ٢٧٠.

٧- ولقد عقب الحافظ ابن حجر على هذا الحديث بأن: (في سنده جابر الجعفي وهو ضعيف، وذكر طرق الحديث ثم قال: (وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً) (١).

وقال ابن حجر :إن النهي محمول على الكراهة والتنزيه،لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" وحدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج" وغضبه على عمر كغضبه على معاذ حين طول بالناس في الصلاة، وذلك لمنزلتهما،وعلوّ مقامهما في الدين. اهـ

وبالتالي يصبح النهي هذا عن المطالعة في ذلك الوقت وليس عن الدراسة والتحليل لعدم استلزامها مطالعة كتبهم.

المبحث الرابع:حاجة الإنسان إلى الدين.

إن الدين ضرورة من ضرورات الحياة يحتاج إليه الإنسان، كما يحتاج إلى الهواء والماء والغذاء، فلن ينعم الإنسان ولن يسعد إلا في ظل الدين، وهو إن وجد طريقه للغذاء المادي فهذا غذاء الجسد، لكن أهم من ذلك غذاء الروح؛ فالإنسان كائن له طبيعة مزدوجة: مادية، وروحية، جمع فيه بين قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، ولا قوام لأحد الجانبين دون الآخر، فلكل منهما مطالبه وغذاؤه، فلو أشبع الجسد بمطالبه المادية، فلابد أن تبحث الروح عن مطالبها، وهنا تظهر بجلاء حاجة الإنسان إلى الدين فهو غذاء الروح.

فنزعة التدين أصيلة فى النفس يحتاج إليها الإنسان ولا يستطيع أن يعيش بمعزل عنها، وما عاشت على وجه الأرض أمة ولا جماعة، وكانت لها حياة إلا وكان لها دين ومعبودات، حقًّا كان هذا الدين وتلك المعبودات أم باطلة، وكما يقرر التاريخ البشري أن كثيرًا من الحضارات والمدن قامت بلا مصانع، ولا حصون، ولا قصور، ولكن لم توجد أمة أو مدينة بلا معابد، أو صوامع، وتلك شهادة التاريخ بأن الإنسان يوم أن وُلد وُلد ومعه حظه من الدين والتدين، لذلك

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ج١٣ ص٥٢٥.

فسعادة الأفراد، وسعادة المجتمعات فى أن يكون لهم دين يتدينون به، ورسل يهدونهم إلى الصراط المستقيم، أما غير هذا فالشقاء والبلاء مصير هذه الأمم وتلك المجتمعات وأولئك الأفراد، ولكي تتضح هذه القضية فإننا **سوف نتناول أهمية الدين بالنسبة للأفراد ثم بالنسبة للمجتمعات.**

أولا: أهمية الدين للأفراد.

١- الدين هو الغذاء العقلي النظري للفرد:

الدين ضروري للفرد وذلك لحاجة العقل إلى معرفة الحقائق الكبرى في الوجود، فالدين هو الغذاء العقلى لإشباع القوة النظرية وتكميلها فى الإنسان، وذلك لأن العقل يبحث فى كثير من حالات التفكير عن عالم المجهول والملكوت وما وراء الطبيعة، وكيف نشأ،وما مصيره ؟ وكيف نشأ هذا الكون ؟ والى أين ينتهى ؟ ومن يشرف عليه ؟ ثم لماذا وجد الإنسان؟ لماذا أعطي العقل والإرادة وتميز عن سائر الحيوان؟ لماذا سخر له ما في السموات وما في الأرض؟ أهناك غاية من وجوده؟ أله مهمة في حياته؟، والإنسان عاجز وحده أن يجيب عن أسئلته التي تدور في رأسه، وتلاحق تفكيره.

ويتطلع الفرد دائما إلى قوة علوية تفسر له هذا الوجود تفسيرا يطمأن إليه ويعتمد عليه ويرضاه، وليس شيء يقدم الإجابة المتكاملة الصحيحة الشافية الكافية التي ترضي العقل ولا تصطدم مع العلم ؛ سوى الدين، فهو يعطى صورة لفكرة الوجود وما وراء الوجود، ترضي طموح العقل وتغطي دائرة التفكير النظري فيه، ((وإذا كان البعض ينكر فكرة الدين والعقيدة ويتجاهل أهميتها فان ذلك لا يعود إلى رداءة العقيدة وإنما يعود إلى ضعف التكوين العقلي فيه))[١].

يقول سانت هيلير[٢] " :هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا: ما العالم؟ ما الإنسان؟ من أين جاءا؟ من صنعهما؟ من يدبرهما؟ ما هدفهما؟ كيف

(١) الله للعقاد ص٢٦.

(٢) هو: بارتليمي سانت هيلير جول، فيلسوف سياسي فرنسي، ولد في باريس سنة ١٨٠٥م، رأس حكومته سنة ١٨٤٨م، ترجم كثيراً من كتب أرسطو، وله مؤلفات في السياسة والفلسفة منها: "في البوذية" و "في المتيافيزيقيا"، توفي سنة ١٨٩٥م.

بدءا؟ كيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه الدنيا؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة؟ وما علاقتنا بهذا الخلود؟ هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً جيدة أو رديئة، مقبولة أو سخيفة، ثابتة أو متحولة"(١).

ويقول شاشاوان: "مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر... علميا، وصناعيا، واقتصاديا، واجتماعيا، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العملية، وللجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا؛ فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء –عظاما كنا أو متواضعين، خيارا كنا أو أشرارا– يعود إلى التأمل في هذه المسائل الأزلية:

لم؟ وكيف كان وجودنا؟ ووجود هذا العالم؟ وإلى التفكير في العلل الأولى أو الثانية، وفي حقوقنا وواجباتنا"(٢)

وينقل د. دراز لنا إجماع مؤرخي الأديان على هذه الحقيقة فيقول:(إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليست هناك جماعة إنسانية، بل وأمة كبيرة، ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، ودون أن تتخذ لها في هذه المسائل رأياً معيناً، حقاً أو باطلاً، يقيناً أو ظناً، تصور به القوة التي تخضع لها هذه الظواهر في نشأتها، والمآل الذي تصير إليه الكائنات بعد تحولها).(٣)

إن الله ﷻ الذي خلق الكون والحياة ودبر الوجود كله ؛ خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض، واستعمره فيها وجعله سيدًا، وسخر له ما في السماوات، وما في الأرض من أجل أن يكون عبدًا له وحده قال ﷻ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٤) تلك هي الغاية الكبرى من خلق الإنسان، وهو الذي يحتاج إلى هذه العبادة مع أنها لا تزيد في ملك الله ولا تنقصه، ولا تضره سبحانه أو تنفعه.

(١) الدين ل د. محمد دراز ص٨٤.
(٢) الدين د. محمد دراز ص٨٤، ٨٥.
(٣) الدين د. محمد دراز ص ٣٨.
(٤) سورة الذاريات آية ٥٦.

والإنسان من غير هذا التوجه الكريم إلى خالق الكون ومدبره ضعيف في هذا الكون وحيد في هذا الوجود؛ لأنه يكون مقطوع الصلة بالكون وما فيه، فتتولد في نفسه الهواجس وتحيط به الظنون يخشى أن تتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق؛ لذلك فهو يحتاج إلى إيمان يملأ قلبه ويربطه بالكون مخلوقًا، وبإله الكون خالقًا حتى يعلم الإنسان سبب وجوده، ومصيره المحتوم بعد رحلة الحياة وكذلك حتى يعلم الإنسان ما علاقته بالكون، وما هي الصلة بينه وبين غيره من المخلوقات كل ما في الكون قد خلق للإنسان.

أما الإنسان نفسه فقد خُلِقَ لله جل في علاه؛ لمعرفته وعبادته، وأداء أمانته في الأرض، وكفى بهذا شرفًا وفخرًا؛ فالإنسان سيد في الكون عبد لخالقه وحده؛ ومن ثم فإن الدين ضرورة في حياة الإنسان من أجل معرفة غاية الوجود الإنساني، فبالدين يعرف الإنسان لوجوده غاية، ويعرف لمسيرته وجهة ويعرف لحياته رسالة، وبهذا يحس أن لحياته قيمة ومعنى، ولعيشه طعمًا ومذاقًا، وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في الفضاء، ولا مخلوقا سائبًا يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء كالذين جحدوا الله، أو شكوا فيه، فلم يعرفوا لماذا وجدوا، ولماذا يعيشون، ولماذا يموتون، كلا إنه لا يعيش في عماية، ولا يمشي إلى غير غاية، بل يسير على هدى من ربه وبينة من أمره، واستبانة لمصيره بعد أن عرف الله، وأقر له بالوحدانية.

فبالدين يعرف الإنسان من أين جاء، ولم جاء، وإلى من فراره، وأين قراره.

وهذه بعض الآيات القرانية التي تخاطب العقل، وتقدم له الإجابات الشافية على استفساراته:

قال ﷻ (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لّا يُوقِنُونَ.)[1].

وقال ﷻ (هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۞ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) [2].

(١) سورة الطورآية ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة الإنسان آية١ – ٥.

وقال ﷻ (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [١].

وقال ﷻ (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [٢].

فالدين ضرورة عقلية ليجيب على تلك الأسئلة التي حيرت الإنسان، ويرشد الضالين الباحثين عن الحقيقة، فعن طريق التدين يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها، والتي تطلب الإيمان بالله تعالى ولا يعوضها شيء غيره قال ﷻ (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)[٣].

واهتداء الإنسان إلى فطرته مكسب كبير له، فيه يعيش المرء في سلام ووئام مع نفسه ومع فطرة الوجود الكبير من حوله، فالكون كله رباني، رباني الوجهة يسبح بحمد الله ﷻ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)[٤].

ويهمنا هنا أن نؤكد أن العلم- وحده- لا يقدر على فهم سر الحياة وغاية الوجود، وأن جميع اكتشافات الغرب لم تستطع أن تجيب على الأسئلة التي حيرت الإنسان بل إنها أوصلت الإنسان إلى درجة اليأس والإحباط والحيرة والشك، فإذا كانت الحياة قد بلغت في عصرنا قدرًا من الرفاهية والرقي والتقدم،

(١) سورة الشعراء الآيات ٧٨-٨٢.
(٢) سورة النمل الآيات من ٦٠ - ٦٥.
(٣) سورة الروم آية ٣٠.
(٤) سورة الإسراء آية ٤٤.

وقدمت للإنسان ما يشتهي وما يتمنى، ؛ فقد جاءت خطواتها عرجاء شائهة مرهقة، يوم تسلحت بالعلم، وتنكرت للدين.

لقد تقدمت حياة الإنسان ورغد عيشه، لكن حساب راحته النفسية والروحية، ففقدت النفس سكينتها، والمجتمع استقامته وأمنه، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، إن ضعف الوازع الروحي والديني والنفسي في ظل الحضارة المادية المعاصرة لا يعني اختفاء الدين، وإنما هو دليل صدق، وبرهان حق على عجز الحضارة المادية المعاصرة أن تُوفي بحق الإنسان، وحاجته، ورغبته في حياة أفضل، وإنه خير دليل على أن الدين فطرة النفس البشرية لا تسعد إلا في ظله، ويوم تستظل بغيره تفقد الأمن والأمان والاستقرار.

لقد أيقظت تلك الحضارة في الإنسان غريزة الشهوة، وقتلت فيه الشق الآخر، فتحول إلى حيوان كل همه الوصول إلى نزواته، والحرص على شهواته، لكنها قتلت فيه الإنسان صاحب المشاعر، مرهف الحس والعواطف، الميال إلى الخير، فتحول إلى قطيع، همه اللقمة والشهوة، وصدق ربنا ﷻ وهو يلخص لنا حياة الكافرين بقوله)وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) [1]، حتى يأذن الله ﷻ لهم باليقظة (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [2].

٢- الإشباع النفسى الوجدانى.

يعتبر الدين الغذاء النفسى لتنمية الشعور الوجدانى فى الإنسان، فالإنسان ليس عقلاً فقط، كالأدمغة الإلكترونية، إنما هو عقل ووجدان وروح، هكذا تكونت فطرته، ونطقت جبلته، ففي فطرة الإنسان فراغًا لا يملؤه علم ولا ثقافة، ولا يشبع نهمته فن ولا أدب، ولا يملأ فراغ نفسه زينة أو متعة، ويظل قلق النفس، جوعان الروح، ظمآن الفطرة، وشاعراً بالفراغ والنقص، حتى يجد العقيدة في الله ويؤمن به ويتوجه إليه ؛ فيطمئن بعد قلق، ويسكن بعد اضطراب، ويأمن بعد خوف، ويحس بأنه وجد نفسه، فإذا لم يجد الإنسان ربه، وهو أقرب إليه من

(١) سورة محمد: ١٢.
(٢) سورة الرعد آية ١١.

حبل الوريد؛ فما أشقى حياته، إنه لن يجد السعادة والسكينة بل لن يجد نفسه ذاتها كالذين نسوا الله، فأنساهم أنفسهم.

فالإنسان كائن له طبيعة مزدوجة: مادية، وروحية، ولا قوام لأحد الجانبين دون الآخر، فلكل منهما مطالبه وغذاؤه، فلو أشبع الجسد بمطالبه المادية، فلابد أن تبحث الروح عن مطالبها.

قال ابن قيم الجوزية " ففي القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا، فالتفرق يوقع وحشة الحجاب، وألمه أشد من ألم العذاب "(١).

وكذلك قال العقاد "وفى الطبع الانسانى جوع إلى الدين كجوع المعدة إلى الطعام، والإنسان الذى يرفض فكرة الدين كالمعدة التى ترفض قبول الطعام الجيد، لا بسبب رداءة الطعام، ولكن بسبب ضعف المعدة " (٢).

وجاء في معجم لاروس للقرن العشرين " إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية...وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي، وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية... إن الغريزة الدينية لا تختفي، بل لا تضعف ولا تذبل، إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد"(٣).

٣- حاجة الإنسان إلى ركن شديد يأوي إليه، إذا ألمت به الشدائد.

فإذا أصاب الإنسان من شدائد الحياة وكوارثها ما لا قبل له به، ولا يد له، ولا للناس في دفعه، ولا رفعه، فثمة حاجة أخرى إلى الدين تقتضيها حياة

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ج٣ ص١٥٦.
(٢) الله للاستاذ العقاد ١٧.
(٣) راجع: الدين د محمد دراز ص ٨٣ – ٨٤.

الإنسان وآماله فيها، وآلامه بها، وهي حاجته الإنسان إلى ركن شديد يأوي إليه، وإلى سند متين يعتمد عليه، إذا ألمت به الشدائد، وحلت بساحته الكوارث، ففقد ما يحب، أو واجه ما يكره، أو وقع به ما يخاف، هنا تأتي العقيدة الدينية، فتمنحه القوة عند الضعف، والأمل في ساعة اليأس، والرجاء في لحظة الخوف، والصبر في البأساء والضراء، وحين البأس،، فيرتبط قلبه مع خالقه فيتحسسه فى كل مصيبة ويحمده فى كل نعمة بارتياح واطمئنان، وبذلك تنمو فيه الخصال الخلقية العليا، وتتحرك فيه دوافع الصلاح فى الحياة، وبواعث الأمن والصفاء والحب والرضا، قال تعالى)الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (١).

إن العقيدة في الله وفي عدله ورحمته، وفي العوض والجزاء عنده في دار الخلود، تهب الإنسان الصحة النفسية والقوة الروحية(٢)، فتشيع في كيانه البهجة، ويغمر روحه التفاؤل، وتتسع في عينه دائرة الوجود، وينظر إلى الحياة بمنظار مشرق، ويهون عليه ما يلقى وما يكابد في حياته القصيرة الفانية، ويجد من العزاء والرجاء والسكينة ما لا يقوم مقامه ولا يغني عنه علم ولا فلسفة ولا مال ولا ولد ولا ملك.

إنها الفطرة البشرية الأصيلة التي لا تجد سكينتها إلا في الاهتداء إلى الله والإيمان به، إنها الفطرة التي لم يملك مشركو العرب في جاهليتهم أن ينكروها مكابرةً وعنادًا (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)(٣) وقد تنحرف هذه الفطرة تتبع الهوى والشهوات والشبهات، أو التقليد الجاهل للآباء والأجداد، وقد يصاب الإنسان بداء الغرور؛ فيظن نفسه

(١) الرعد ٢٨.

(٢) بدأ رجال الطب وعلم النفس يؤيدون العلاج بالطب النفسي الديني، يقول وليم جيمس الفيلسوف الأمريكي إن أعظم علاج القلق هو الإيمان، ويقول الدكتور أ.أ. بريل إن المرء المتدين لا يعاني قط مرضاً نفسياً، انظر بين الدين والعلم لعبدالرازق نوفل ص٦٠.
ويقول ديل كارنيجي في كتابه " دع القلق وابدأ الحياة " إن أطباء النفس يدركون إن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا من الأمراض.

(٣) سورة العنكبوت آية ٦١.

شيئًا يقوم وحده ويستغني عن الله؛ بيد أن هذه الفطرة تذبل ولا تموت ؛ فإذا أصاب الإنسان من شدائد الحياة ؛ فسرعان ما ينطلق داعيًا ربه منيبًا إليه.

كما قال ﷻ (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا) (١).

وقال ﷻ(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (٢).

وقال ﷻ(أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(٣).

وهذا فرعون العنيد يعترف بالله ساعة الضر والهلاك، قال تعالى (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (٤)

وعن سعد بن أبي وقاص–رضي الله عنه– قال: "لما كان يوم الفتح فرّ عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فأصابتهم عاصفة فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً، فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً، قال سعد: فجاء فأسلم"(٥).

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٧.
(٢) سورة يونس آية ٢٢.
(٣) سورة النمل آية ٦٣.
(٤) سورة يونس آية ٩٠.
(٥) حديث سعد هذا أصله في الصحيحين، ولكن قصة ركوب عكرمة للبحر أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٠٤/٧ برقم ٣٦٩١٣، والبزار في مسنده برقم ١١٥١، والنسائي في السنن الكبرى، حكم المرتد ٣٠٢/٢، وفي الصغرى باب الحكم في المرتد ١٠٦/٧، وأبو يعلى في مسنده برقم ٧٥٧، والشاشي في مسنده برقم ٧٣، والطبراني في المعجم الكبير برقم ١٠١٩، والبيهقي في السنن الكبرى، باب من قال في المرتد يستتاب في مكانه فإن تاب وإلا قتل ٢٠٥/٨، وابن عبدالبر في التمهيد ١٧٥/٦.

فالشدائد هي التي تظهر هذه الفطرة العميقة الكامنة، التي لا تجد سكينتها إلا في الاهتداء إلى الله والإيمان به، ولا يجد الإنسان راحته النفسية، وأمنه الروحي إلا في ظل الدين والتدين، وإلا فهو في خوف وحزن: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(١)

والإنسان في هلع وفزع وجزع ومنع من خير إلا أن يكون صاحب دين، وصاحب إيمان حق كما قال ﷻ: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا* إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ* وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ* وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ)(٢).

٤- بناء الشخصية القوية والإرادة الثابتة:

يعتبر الدين الغذاء الجسمى لتكوين الشخصية القوية ذات الإرادة الثابتة التى تبعث الثقة بالنفس والثبات على المبدأ، وتغرس الشجاعة فى الجوارح لنصرة الحق ومقاومة الظلم، من غير خوف أو قنوط،لأنه يرضى بقدر الله ويعلم أن الله لا يريد بعباده إلا الخير،وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٣)، وبالدين تتحرر إرادة الإنسان من سلطات الشهوات والماديات، فينطلق صاحبها لأداء الواجب بكل اعتزاز رابطا مصيره

(١) سورة يونس الآيات من ٦٢- ٦٤.
(٢) سورة المعارج الآيات من ١٩ - ٣٥.
(٣) سورة البقرة آية ٢١٦.

بالله الذى له القوة والسلطان مؤمنا بقوله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا)[1].

ويشهد التاريخ، كم كان الدين محركا لإرادات الشعوب ضد الظالمين والمستعمرين يقول الدكتور البوطى" إن من شان الدين أن ينزل بالمتألهين والمتكبرين من عليائهم وجبروتهم... وأن يرفع بالدهماء والمستضعفين فوق صعيد الحرية والكرامة ويعيد إلى كيانهم مشاعر العزة والإباء" [2].

ويذكر العالم الأمريكي هنري لنك في كتابه " العودة إلى الإيمان" أنه استخلص – من الاختبارات النفسية التي أجراها على مرضاه – نتيجة هامة هى:

أن كل من يعتنق دينا، أو يتردد على دار العبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له، أو لا يزاول أية عبادة، ويؤكد لنك على قناعته الكاملة بأن كل مكتشفات علم النفس لتقويم الشخصية والوصول إلى سعادة النفس ورضاها تنتهي إلى التمسك بالحقئق الدينية القديمة والتعلق بها.

ويختم د لنك كلامه بأن الدين ليس ملجأ الضعفاء، ولكنه سلاح الأقوياء، فهو وسيلة الحياة الباسلة التي تنهض بالإنسان ليصير سيد بيئته المسيطر عليها، لا فريستها وعبدها الخانع.

٥- تحقيق الأهداف والغايات:-

يضفى الدين على المخلصين طمأنينة كبرى بما يرسمه من حلال وحرام وثواب وعقاب وجنة النار، وذلك لأنه يطمئن الأفراد إلى أن خلف هذه الكون قوة كبرى تثيب المخلصين والصابرين، وتنتصر للمظلومين من الظالمين، وتنتقم من أصحاب الجبروت والطغيان وترتب الكون والناس من جديد.

ولا يخفى ما تضفيه قضية الثواب والعقاب فى الآخرة من ارتياح كبير فى أمل إحقاق الحق المهضوم فى الدنيا وكشف سرائر الناس.

(١) سورة آل عمران آية ١٤٥.

(٢) كبرى اليقينيات الكونية د. محمد سعيد رمضان البوطي ص٥٨.

ولا يزال التذكير بالآخرة والتخويف بأهوال القيامة وعجائبها وتظفير الجنة وما فيها أفضل طريق لتنبيه قلوب الناس وتحريكها نحو طريق الصبر والاطمئنان والخير.

ثانيًا: أهمية الدين فى المجتمع.

١- بناء المجتمع الفاضل الصحيح:

يرسم الدين مجتمع الحق القائم على العلم الصحيح والحقائق اليقينية الهادية والحياة الراشدة،ويبني الدين على أسس الحق والإخاء والمحبة والتعاون؛ وذلك لأنه يضع للإنسانية المنهج السوى ويضفى عليه صبغة القدسية، فينال الاحترام من الأفراد ويصبح هدفا عاما للمجتمع والجماعات.

وهيهات للعقول أن تدرك بمحض فكرها وتجاربها، علل الكون وانضباط قوانين الأسباب، أو الوقوف على حقائق الحسن والقبح، أو معرفة أحكام وحكمة الأشياء، أو علل المباحات والمحرمات، أو استيعاب الأوامر والمنهيات.

فالدين الالهى هو الذى يصوغ للجماعات الإنسانية من الشارئع والأنظمة والقوانين ما يحقق لهم المقاصد والغايات والنفع والخير العام قال تعالى (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)[١]، فاتباع مناهج الدين في العقيدة والشريعة والسلوك الأخلاقي والبناء الإجتماعي يؤدي إلى بناء مجتمع صحيح الأركان فاضل في الأخلاق والصفات والأعمال والسلوكيات.

٢-تحقيق الوحدة الاجتماعية:

يعتبر الدين من أقوى الأسس التى قام عليها وحدة المجتمعات، وذلك لأنه يمثل الطبع الغريزى ويحقق الفكرة الجامعة، ويقيم الرابطة المقدسة، وينشد الأهداف المعنوية العليا للبشر.

وما تقام عليه مجتمعات اليوم من عناصر وحدة الأرض، أو اللغة، أو العرق، أو القبيلة، ليس إلا تزييفا للمشاعر الإنسانية التى تؤدى غالبا إلى الأثرة

(١) سورة الإسراء آية.٩

والتعصب والحروب، فتسع كل جماعة لتحقيق هذه العناصر على حساب الجماعات الأخرى بالسبل الصحيحة أو الباطلة.

وبالدين والإيمان تهذب هذه العناصر وتقاد إلى تحقيق مفهوم أعلى يقوم على أن الأرض لله، والأنفس لله، والمال لله، والكل فيها سواء.

قال تعالى (وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً)[1]لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)[2]

٣- تحقيق الأمن والإستقرار الاجتماعي:

تبدوا أهمية الدين واضحة فى تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي والاستمرار الحيوى للمجتمع، وذلك لأن المجتمع ينشد التقدم والبقاء ويطلب من أفراده الامتثال للقانون، والتفاعل الايجابي، والعمل الناهض، والتعاون الجاد، والنمو المستمر وغير ذلك من الطموحات. ولا تتأتى هذه الأمور – وغيرها – إلا بالدين، لأنه يقيم الوازع الداخلى ويهيمن على النفوس ويعمل على ترقية الأفكار الخلقية فى الضمائر، ويحقق التوازن بين طموحات الأفراد ومطالب المجتمع. فتغدوا نزعة التملك الفردية، وسيلة لإقامة حياة عادلة، وتصبح نزعة القوة والبطش، سبيلا إلى حراسة الحقوق، وتصبح نزعة العلم، نورا وهاجا وقبسا يهدى إلى الله.

وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة تحترم فيها الحقوق وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل، فان الذى يؤدى واجبه رهبة من سوط أو سجن أو عقوبة مادية لا يلبس أن يهمله عند اطمئنانه أنه سيفلت من طائلة القانون. [3].

لذلك فهناك حاجة اجتماعية إلى الدين، حاجة إلى بواعث تدفع أفراده إلى عمل الخير، وأداء الواجب وإن لم يوجد من البشر من يراقبهم، أو يكافئهم...

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال آية ٦٣.

(٣) انظر الدين للدكتور دراز ص٧١، كبرى اليقينيات الكونية د. محمد البوطي ص ٥٨، الدين والعلم أحمد عزت باشا ص١٧٣

وضوابط تحكم علاقاتهم، وتلزم كل واحد منهم أن يقف عند حده، ولا يعتدي على حق غيره أو يفرط في خير مجتمعه، من أجل شهوات نفسه، أو منفعته المادية العاجلة.

ولا يقال: إن القوانين واللوائح كافية لإيجاد هذه الضوابط وتلك البواعث، فإن القوانين لا تخلق باعثاً، ولا تكفي ضابطاً، فإن الإفلات منها ممكن، والاحتيال عليها ميسور، ولهذا كان لا بد من بواعث وضوابط أخلاقية، تعمل من داخل النفس الإنسانية لا من خارجها. لا بد من هذا الباعث الداخلي، ومن هذا: الوازع الذاتي، لا بد من الضمير، أو "الوجدان" أو "القلب" . سمه ما شئت . فهو القوة التي إذا صلحت صلح عمل الإنسان كله، وإذا فسدت فسد كله.

٤- بناء مجتمع الدنيا ومجتمع الآخرة:

يحدد الدين مفهوم السعادة والهدف فى المجتمع والحياة، وذلك توكيده على أن المجتمع الدنيوى طريق إلى مجتمع الآخرة وأن تصرفات الإنسان فى الدنيا امتداد للجزاء الآخروى فى الدار الآخرة وبذلك تتحدد فكرة السعادة للإنسان بمقدار المكاسب الدنيوية التى تصل بصاحبها إلى شطئان السلامة والفوز بالدار الآخرة، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا)[١] ويصبح الإنسان السعيد – فى نظر الدين – ذلك الذى يملك إحساسا داخليا وقيمة معنوية تحقق له الهدف الأسمى، وهو الوصول إلى جنة الفردوس العظيم، وليس الذى يمثل رقيا جثمانيا فى مجتمعه أو لذة دنيوية تنتهى على عتبات الفراق أو الموت قال تعالى (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) [٢].

وما انحدرت البشرية إلى الانحلال أو الصراع إلا لأنها تقيم مجتمعاتها المعاصرة على تحقيق سعادة الحياة الدنيا ليس غير، حيث أضحى التعليم مجرد معرفة، والمجتمع مجرد منفعة، والعمر مجرد لذة، والكسب مجرد شهوة، وأقبل

(١) سورة الكهف آية ١٠٧.
(٢) سورة الزمر آية ١٥.

الناس يأكلون ويشربون ويموتون بلا أهداف وصدق الله العظيم. (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ)[١].

وختاماً نقول إن الدين وحده هو الذي صاحب البشرية منذ طفولتها، ولم يفارقها في صباها وشبابها وكهولتها، ولم يزل سلطانه مهيمنًا عليها هو الذي يحل لغز الوجود، ويفسر سر الحياة والموت، وغير ذلك إنه الدين نحن أحوج ما نكون إليه، والناس بغير دين يكونون كالأموات، كما قال رب الأرض والسماوات: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [٢] فالحياة مع هذا الدين سيما الحق قال تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)[٣].

إن الإنسان بغير دين كالأعرج أو الأعوج غذى جسده، ولم يغذِ روحه فلن يجد سعادته، ولن يجد سكينته، وسائر الكفار مع ما أوتوا من نعم الدنيا وزخارفها، لكنهم غفلوا عن الدين، وعن الآخرة؛ فكان الأمر، كما قال الله تعالى (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[٤] فمع هذه الغفلة عن الآخرة، وعن الدين ننظر إليهم، وإلى واقعهم، لقد جربوا كل ضروب السعادة فيما يظنون، وفنون السكينة فيما يزعمون، لكنهم لم يجدوها إلَّا مع الدين سيما أسلموا لله رب العالمين، واعتنقوا الدين الحق، فالحمد لله رب العالمين.

المبحث الخامس: مناهج دراسة الملل والنحل.

هنا يدور سؤال مفاده هل كانت دراسة الفكر الإسلامي للملل والنحل يهدف فهمها ووصفها وتحليلها ومقارنتها، أم كانت دراسات جدلية خصامية هدفها الأوحد هو الرد والإبطال والدحض؟

يبدو من دراسات الباحثين في المؤلفات التي خلفها العلماء في علم الملل والنحل أن دراساتهم تنقسم قسمين.

---

(١) سورة محمد آية ١٢.
(٢) سورة الأنفال آية ٢٤.
(٣) سورة الأنعام آية ١٢٢.
(٤) سورة الروم آية ٧.

ويمكننا أن نقول مطمئنين أنه لم تكن كل جهود المسلمين في دراسة الملل والنحل ذات طبيعة جدلية حجاجية لكنها اشتملت -إلى جانب الجدل-،على التاريخ والوصف والتحليل العلمي والمقارنة الموضوعية والنقد المنهجي فدراسة الباحثين تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: عرضية أو وصفية.

القسم الثاني: دراسة جدلية أو نقدية.

والمراد بالدراسة العرضية أو الوصفية: الدراسات المقارنة التي يلتزم فيها الباحث الحيدة دون أية محاولة في الرد على تعاليم الأديان التي تخالف عقائد الباحث، فالباحث في مقارنته يصف الأديان التي يجري عليها المقارنة ويعرضها في دراسته كما وصفتها كتب الملل والنحل والمراجع التي يعتمد عليها وذلك مثل كتاب الملل والنحل للشهرستاني[1].

فبالباحث يركز فيه على نشأت كل ديانة، وأسفارها، ومؤسسها، وفرقها، ومقالاتها...إلخ.

وقد شغل التأريخ للملل والنحل ووصفها مساحة واسعة من فكر المسلمين ووضعوا لذلك أسسًا وأصولا أو قواعد منهجية غير مسبوقة ؛ أي أنهم أصلوا وقنّنُوا هذا المنهج ثم طبقوه بموضوعية ونزاهة على أديان العالم المختلفة، بل كان لهم شرف كتابة أول تاريخ للأديان في الفكر الإنساني كله قبل أوربا بأكثر من عشرة قرون.

ولو استعرضنا عناوين كثير من الكتب التي ألفها المسلمون عن الأديان لوجدنا أنها بعيدة عن الجدال والنزال وإنها أدخل في التاريخ والوصف، وقد كان ذلك واضحًا في أذهانهم بدليل أن العالم منهم كان يكتب في الجدال والنقد كتابا ثم يكتب في التاريخ والوصف كتابا آخر مثل عيسى الوراق (من علماء القرن الثالث الهجري الذي كتب في الجدل كتابه الرد على فرق النصارى الثلاث) وكتب في الوصف والتأريخ كتابه (مقالات الناس واختلافهم).

وهناك عدد من الكتب حمل عنوان "المقالات" لأبي القاسم البلخي وأبي الحسن الأشعري، والناشئ الأكبر والمسعودي مثلا، ثم كتب النوبختي كتابه الآراء والديانات، وكتب أبو المعالي العلوي كتابه بيان الأديان، وألف أبو العباس

(١) انظر: الرد الجميل للغزالي تحقيق د. عبد العظيم عبد الحق حلمي ص٧٨.

الايران شهري والمسجي (درك البغية في الأديان والعبادات)، وكتب أبو منصور البغدادي كتابا في الملل والنحل، وكذا الشهرستاني.

وقد كان هدف العلماء من كتابة هذه العناوين دافعا علميا يدور حول البيان والفهم والوصف والتأريخ بعيدا عن الجدال والردود.

يقول الشهرستاني مشيرا إلى هذه الغاية ومبينا أصول منهجه في تأليف الملل والنحل " شرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحة من فاسده أو أعين حقه من باطله... الخ [١].

وقد لفت جهد الشهرستاني في التأريخ للأديان نظر علماء الغرب فأشادوا به إشادة عظيمة.

أما البيروني فيعلن في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة):

وليس الكتاب كتاب جدل وحجاج وإنما هو كتاب حكاية تأريخ فأورد كلام الهند على وجهه ثم يوضح ذلك قائلا " وأنا في أكثر ما سأورده من جهتهم حاك غير منتقد".

ويقول " ففعلته غير باهت على الخصم ولا متحرج عن حكاية كلامه وإن باين الحق واستفظع سماعه عند أهله فهو اعتقاده وهو أبصر به". ويقرر الجهد الذي بذله في تحقيق هدفه هذا قائلا "ولقد أعيتني المداخل فيه مع حرصي الذي تفردت به في أيامي، وبذلي الممكن –غير شحيح عليه– في جمع كتبهم من المظان واستحضار من يهتدي لها من المكامن [٢].

يقول جي ألانا " إن البيروني ألف كتابه عن الهندوسية،ولم يكن فيه منحازًا أو متعصبًا واستشعر واجبه كمسلم في اقتباس نصوصهم كاملة ولم يكن كتابه كتابا جدليا بل هو تسجيل تاريخي للحقائق قد وضع فيه أمام القارئ نظريات الهندوس كما هي" [٣].

---

(١)الملل والنحل للشهرستاني ص١.

(٢)تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة لأبي الريحان البيروني

(٣) بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٣٩

وقد أسس البيروني منهجه على الرجوع إلى المصادر الأصلية والملاحظة الذاتية.

ولعل من أهم ما يميز منهجه أنه قائم على الأمانة العلمية وقد لوحظ عليه هذه الخاصية في معظم بحوثه فنلاحظ أنه عندما يكون بصدد الحديث عن موضوع لم تكن لديه معلومات ومصادر وافية وأصيلة فإنه لا يلجأ إلى التخمين والشك أو الافتراض بل يصرح لقارئه عن ذلك بكل شجاعة وصراحة [١] فهو حين يدرس الشمنية، والحديث عن أساطيرها وخلافاتها: يقول: " ولأني لم أجد كتابا للشمنية (التركيز على المصادر الأصلية) ولا أحدًا منهم (المعاينة والمشاهدة) استشف من عنده ما هم عليه فاني إذا حكيت عنهم فبواسطة (الايرانشهري) وإن كنت أظن أن حكايته غير محصلة أو عن غير محصل" [٢].

وعلى الرغم من أن الهندوس كانوا يعدونه شخصا منبوذًا وينظرون إليه يعين الكراهية لأنه كان صديقًا للسلطان محمود الغزنوي ورغم نظرتهم العنصرية الاستعلائية إلى من سواهم بالرغم من ذلك فقد سجل بأمانة بالغة ما رآه في الهند من معتقدات وآراء وحقائق ووقائع ولم يظهر أية عداوة أو تحامل على الهنود وديانتهم كما يذكر آلانا [٣].

إن البيروني ألف كتابه عن الهندوسية ولم يكن فيه منحازًا أو متعصبًا واستشعر واجبه كمسلم في اقتباس نصوصهم كاملة ولم يكن كتابه كتابا جدليًا بل هو تسجيل تأريخي للحقائق قد وضع فيه أمام القارئ نظريات الهندوس كما هي[٤].

ونخلص من ذلك أن البيروني درس الملل والنحل وعلى الأخص ديانات الهند بمنهج تاريخي تحليلي ولم يعتمد على المنهج الجدلي القائم على الرد والنقض [٥].

---

(١) علماء المسلمين وقضية المنهج د. دين محمد، المجلة الحولية للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، عدد ٣، سنة ١٩٩٥م.

(٢) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص٢٠٦، ٢٧٦.

(٣) بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٤٠

(٤) الكتاب التذكاري عن البيروني الذي صدر في باكستان ص١٥٧.

(٥) جهود القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان حمدي الشرقاوي ص٢٢.

وقد سلك نفس هذا المسلك **القاضي عبد الجبار** حيث بذل جهدا في دراسة المسيحية أقف هنا على الجانب التأريخي منه لقد أرخ القاضي للديانة المسيحية الراهنة منذ تأسيسها على يد بولس، ومرورًا بجهد الإمبراطور الروماني قسطنطين، ومجمع نقيه،ثم رصد تطوراتها، وفرقها وأسفارها التي تقدسها وتأثير الرومان عليها، وما كان عليه عيسى عليه السلام وتلاميذه من بعده وموقف هؤلاء التلاميذ من محاولات بولس،ومن تفسير حادثة الصلب المشتبه فيها، وتأليه عيسى عليه السلام،وإلغاء شريعة التوراة وأحكامها.

لقد استرعى القاضي بتأريخه للمسيحية اهتمام علماء الأديان المعاصرين في الغرب، ولقد أحدث اكتشافهم مخطوطة لكتابه " تثبيت دلائل النبوة" الذي خصص فيه مساحة كبيرة للحديث عن نشأة المسيحية وتطورها عاصفة علمية عالمية على حد قول ديفيد سوكس.

ويصرح ديفيد فليسير أستاذ الكتاب المقدس وهو واحد من كبار المهتمين بتاريخ الكنيسة المسيحية في عصورها الأولى لمجلة تايم الامريكية بأن " أهمية اكتشاف كتاب القاضي بالنسبة لقصة المسيحيين الأوائل تشبه أهمية اكتشاف مخطوطات البحر الميت بالنسبة لفهم الخلفية العامة لفترة ما قبل المسيحية" (١).

فلقد لاحظ علماء الأديان الغربيين أن لكتاب تثبيت دلائل النبوة أهمية خاصة وتكمن أهميته في احتوائه على نصوص نادرة تلقي ضوءًا على أصل الديانة المسيحية وعلى فرق المسيحية ذات الأصول اليهودية مثل الابيونية والناصرية والدوكاتية ويشكل – في الوقت نفسه أقدم رواية سريانية– في نظرهم– عن هذه العقائد المسيحية المبكرة.

وعلى رأس هؤلاء العلماء شلوموبانيز أستاذ تاريخ المسيحية، والذي ألقى عن دراسة القاضي للمسيحية بحثا مطولا "٧٥ صحيفة" سنة ١٩٦٦م، بعنوان المسيحيون ذوو الأصول اليهودية في القرون الأولى للمسيحية في ضوء مصدر علمي جديد.

ثم نشر د. ستيم أحد أساتذة جامعة أكسفورد ثلاثة بحوث مطولة عن الكتاب الأول نشره في مجلة الدراسات اللاهوتية الصادرة في أكسفورد سنة ١٩٦٧م، ثم صدر مقاله عن الكتاب في نفس السنة، ونشر بحثًا ثالثًا عن

(١) انظر بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٤١، ٤٢

الكتاب سنة ١٩٦٨م، بعنوان رواية القاضي عبد الجبار عن كيفية تحريف ديانة عيسى بتبني التقاليد والعادات الرومانية، كما أن كثيراً من الباحثين الغربيين مثل "ماكوبي" قد رددوا النتيجة التي انتهى إليها القاضي بعد دراسته للمسيحية وقال فيها (إن الرومان لم يتنصروا لكن النصرانية هي التي تروَّمت)[١].

وفي العصر الحاضر ينهج هذا المنهج الدكتور أحمد شلبي الذي يعتبر من كبار الباحثين في علم الملل والنحل – أو مقارنة الأديان في العالم الإسلامي وكتابه مشهور مقارنة الأديان في أربعة أجزاء دليل على ذلك وقد نال هذا الكتاب اهتمام العلماء وطبع عدة مرات في النهضة المصرية.

وترجم الكتاب إلى عدة لغات وأخذ مكانه وشق طريقه إلى جمهور عريض من المثقفين ولعب دوره في جذب عدد هائل إلى الإسلام في الولايات المتحدة واستراليا وجنوب شرقي آسيا وغيرها من البقاع كما لعب دوره في ربط قلوب مسلمة بالإسلام كانت قد أوشكت أن تبعد بجاذبية الغرب وجفاف الدراسات الموجودة عن الإسلام [٢].

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الكتاب قد ساعد الباحثين الإسلاميين في دراساتهم وجعل دراسة علم الملل والنحل متقدما بين المسلمين في المعاهد والجامعات الإسلامية بعد أن كان مهملا وابتعد عنه المسلمون.

وهذا المنهج الوصفي قد اهتم به فضيلة **الشيخ محمد أبو زهرة** قبل دراسة الدكتور أحمد شلبي كما هو واضح في كتابه محاضرات في النصرانية وطبع الكتاب مرات في العالم الإسلامي والتزم الشيخ محمد أبو زهرة الحيدة في دراسته التي قال فيها: " وعلم الله أني لبست رداء الباحث المنصف ونظرت بالنظر غير المتحيز وتخليت عن كل شيء سواه لأصل إلى الحق وصول المجتهد الحر لا المقلد التابع المأسور بسابق فكره والمأخوذ بسابق اعتقاده ولكني انتهيت كما بدأت مؤمنا بالله الواحد الأحد الذي ليس له والد ولا ولد" [٣].

وهذا المنهج ليس تطبيقه سهلا كما يتصور، إنه صعب وقد عانى الباحثون الذي ساروا على هذا المنهج الكثير من المتاعب العقائدية منها والفكرية

(١) بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٤٣.
(٢) تاريخ المناهج الإسلامية د. أحمد شلبي ص١٠٤.
(٣) محاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة ص١٣.

وصور فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة الصعوبات التي تواجهها الباحثون في دراساتهم كما واجهها بنفسه قائلا " عسير على المرء أن يكتب في رأي يخالف رأيه ويتحرى مع هذه المخالفة أن يصور الرأي كما يجول بخاطر صاحبه وينبعث في نفسه فيبين داوفعه وغاياته وإذا كان ذلك واضحا في رأي مخالف يرتأى فكيف تكون الحال إذا كانت المخالفة في عقيدة تعتنق وتتغلغل في أعماق النفس وتسكن في أطوائها؟

إن الطريق حينئذ يكون أوعث ومسالكه أضيق لذلك كان الطريق غبر معبد أمام الباحث الذي يريد أن يكتب في النصرانية كما يعتقد النصارى ويصورها أمام القارئ كما تجول بخاطر معتنقيها ويفرض من ناظر غير متحيز يبين العقيدة كما هي في نفس أصحابها لا كما ينبغي أن تكون أو كما يعتقد هو لأن الباحث خلع نفسه مما يعتنق ويؤمن به ويجردها تجردًا تامًا مما قد صار منها بمنزلة الملكات وخالط الإحساس والمشاعر واستولى على كل مسلك الآراء إليها، وتصوير المسيحية كما يعتقد أصحابها ليس فقط عسيرًا على الكاتب غير المسيحي، بل إنه عسير على الكتاب المسيحيين أنفسهم، يستوي في ذلك المختصون ولذلك يستعينون في تصويرها وإدنائها إلى العقول بضرب الأمثال والتشبيهات الكثيرة لتأنيس غريبها بالقريب المألوف والشاهد المحسوس ولإدخالها في العقل من الباب الذي يألفه ويعرفه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ولكن البحث العلمي يتقاضى الباحث الحر المنصف أن يدرس المسيحية إن أراد أن يعلنها كما يعتقد أهلها مجرد من نزعاته السابقة على الدراسة غير جاعل لعقيدته سلطانًا على حكمه حتى لا نسيره في دراسته ونتحكم في اتجاهاته لأن ذلك قد يدفعه لأن يتزيد على القوم والتزيد ليس من شيمة العلماء أو يدفعه لأن يتناول كلامهم بغير ما يبدون وذلك لا يجعل العقل يدرك الأمور كما هي في ذاتها بل يدركها كما انعكست في نفسه وكما رسمت على قلبه وقد يباعد ذلك الأمر في ذاته [1].

ولذلك حاول الإمام دراسة المسيحية مجردًا من نفسه ناظرًا غير متحيز عليها ليصورها كما هي كما يعتقد أهلها وليتمكن من أن يكتبها بروح الإنصاف ولقد اضطر في سبيل ذلك أن ينقل عبارات كتبهم المقدسة عندهم وغير المقدسة

(١) محاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة ص١٣-١٤.

من غير أن يتصرف بأي تصرف حتى ما يتعلق بالإعراب وأساليب البيان لكي لا يدفعه التصرف في التعبير إلى تغيير الفكرة أو تحريف القول عن مواضعه واجتهد ما استطاع في تصوير تفكيرهم بضرب الأمثال إن لم يجد بدًا من ذلك.

ولكن مع عنايته الشديدة بتفهم ما عند القوم وتعرف غايته ومراميه لا يترك النقد العلمي النزيه الذي يستمد قوانينه من بدائة العقول وأحكام المنطق وخصوصًا ما يتعلق بكتبهم لأنه إذا كان الإنصاف قد طالب الباحث بألا يتزيد على ما عندهم أو يحرفه من مراده ومرماه فالإنصاف أيضًا يطالبنا بألاّ يهمل الباحث العقل وإلا خرج بحثه عن معناه العلمي التاريخي وصار بحثه لاهوتيا صرفا وذلك ما لا يريد فلا يصح عنده أن يدفعنا حرصنا على إنصافهم إلى ظلم العلم والحق والعقل(١).

وبعد الشيخ أبو زهرة جاء الدكتور أحمد شلبي وسار بالمنهج المذكور كما ذكرنا يلتقيان في دراساتهما في معظم الأمور، وقد صرح كالدكتور أحمد شلبي بأن الحيدة طريقه فقال " وقد سرت في دراسة مقارنة الأديان والحيدة طريقي لا أحيد عنها ولا انحرف، كما اتخذت اليسر وسيلتي فكنت أتتبع النصوص لتقودني إلى الغاية دون أن افرض نفسي أو فكري عليها، وكان هدفي أن أجعل الدراسة موضوعية لا ذاتية ولا شك أن هذا هو الطريق الصواب، والكاتب الذي يظهر تعصبه ينفض عنه القرآن فلا يكون لعمله جدوى،ولقد حاولت جهدي أن أكون منصفًا وموضوعيًا،وأرجو أن أكون قد وفقت فيما حاولت الوصول إليه (٢).

ثانياً: منهج التحليل والمقارنة:

لم تقف جهود مفكري الإسلام عند المنهج التأريخي الوصفي في دراسة الملل والنحل، ولكنها أضافت منهجا آخر هو المنهج التحليلي المقارن، والمقارنة لديهم لم تتخذ شكلا أو لونا واحدًا لكن مفهوم المقارنة قد اتسع لديهم وتناول صور متعددة منها على سبيل المثال: أن يدرس الباحث جانبا أو أكثر من مذهبين أو أكثر من ديانتين ثم يقارن بينهما، ومنها أن يتناول الباحث ديانة

(١)محاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة ص١٣-١٤.
(٢)محاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة ص١٤.

واحدة ويدرسها دراسة عميقة من كل جوانبها أو بعضها في خطوة منهجية تمهيدية لباحث آخر يأتي ويدرس ديانتين أو أكثر دراسة مقارنة.

ومن صور المقارنة كذلك دراسة شخصية مؤسس الديانة أو رسلها مثل المقارنة بين المسيح عليه السلام في التصوير الكنسي وشخص بوذا أو كرشنا، ومنها دراسة الأسفار التي يقدسها أصحاب الديانات وتحليلها ومقارنتها.

وقد استخدمها علماء الإسلام وارتضاها من بعد علماء الأديان الغربيون ونسجوا على منوالها ويمكن أن نعطي نموذجًا لذلك بأقدم كتاب أبي الحسن العامري ت ٣٨١هـ المسمى "كتاب الأعلام بمناقب الإسلام" كنموذج للدراسة الإسلامية المقارنة للأديان وقد قام الدكتور أحمد عبد الحميد غراب بتحقيق هذا الكتاب.

وقد قام العامري بتحديد الأديان التي قارن بينها، كما بين موضوع المقارنة ومنهجها والأديان التي قارن بينها هي: الإسلام، واليهودية، والنصرانية، ودين الصابئة، ودين المجوس الزرادشتية، والشرك أو عبادة الأصنام.

وموضوع المقارنة يتمثل في العناصر الرئيسية التي يسميها أركان الدين وهي الجوانب أو العناصر التي تشكل جوهر الدين ومن ثم تشترك فيها أو ينبغي أن تشترك فيها جميع الأديان وهي (الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر) ثم يقارن بين بعض العناصر المهمة المكملة لتلك مثل: النظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي والانجازات الحضارية والثقافية لهذه الأديان.

ودعوى أن دراسة المسلمين للملل والنحل لا تزيد على أكثر من الردود والدحوض مردود عليه بنصوص العامري يقول فيها " وقبل أن نشرع فيما وعدناه من مقابلة ركن ركن يجب أن نقدم مقدمة فنقول: إن تبيان فضيلة الشيء على الشيء بحسب المقابلات بينهما قد يكون صوابا وقد يكون خطأ وصورة الصواب معلقة بشيئين:

أحدهما ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة أعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك

والآخر ألا يعمد إلى خلّة موصوفة في فرقة من الفرق غير مستفيضة في كافتها فينسبها إلى جملة طبقاتها".

ومتى حافظ العقل في المقابلة بين الأشياء على هذين المعنيين فقد سهل عليه المأخذ في توفية حظوظ المتقابلات، وكان ملازما للصواب في أمره.

هذه بعض الضوابط المنهجية التي وضعها العامري والتزم بها وخلاصتها:

١- مقارنة الأديان في موضوعات محددة،هي العناصر التي سبق الإشارة إليها.

٢- التزم أن يقارن الأصل بالأصل والمهم بالمهم، فمن الخطأ المنهجي وعدم الإنصاف مقارنة الأصل بالفرع،أو مقارنة جانب مهم في دين ما بجانب أقل أهمية في دين آخر، وعليه فهو يقارن مثلا العقائد بالعقائد والعبادات بالعبادات، ويقارن في كل منها الأصل بالأصول والفرائض بالفرائض أي لا يقارن الأصل بالفرع، ولا الفريضة بالنافلة.

٣- التزم أن يقارن كل دين على أساس مبادئه وأحواله المقبولة لدى جمهور معتنقيه [١].

ومن الجدير بالذكر أن علماء المقارنة في الغرب قد ساروا على منوال منهج العامري في اتخاذ صور متعددة للمقارنة أو المقابلة وقد استفادوا من منهج العامري في المقارنات ومن الجدير بالذكر أن الضوابط التي وضعها العامري في المقارنة هي نفسها التي أقام عليها الظاهريون الجدد منهجهم الظاهراتي في دراسة الأديان.

ونعتقد أن الكتاب الذي عنوانه (الإرشاد لتصحيح الاعتقاد) الذي ألفه بعض الباحثين الغربيين والذي قارن فيه عقيدة "البعث والمعاد" بين المجوسية والمانوية واليهودية والنصرانية فضلا عن الإسلام، مثل كتاب الأعلام للعامري في موضوعيته ومنهجيته [٢].

(١) انظر: مقدمة الدكتور احمد عبد الحميد غراب لكتاب الأعلام للعامري، دار الأصالة بالرياض.

(٢) انظر بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٤٦.

منهج أبو الحسن العامري المتوفي سنة ٣٨١هـ في كتابه الإعلام بمناقب الإسلام:

الأديان التي اختارها:

١- الإسلام. ٢- اليهودية. ٣- المسيحية.

٤- دين الصابئة. ٥- دين المجوس الثنوية. ٦- الشرك عبادة الأصنام.

لقد اختار العامري هذه الأديان بالذات على أساس أن بعضها يقوم على الوحي وبعضها الآخر يقوم على العقل أو أن بعضها له كتاب منزل أو شبهة كتاب وبعضها الآخر ليس له هذا ولا ذاك كما فعل الشهرستاني بل اختار العامري هذه الأديان على أساس آخر وهو أساس تاريخي.

إذ يشير إليها على أنها الأديان الستة التي لها خطط وممالك ومعنى هذا أن كل دين منها قد أسس مملكة وأقام دولة في وقت ما من أوقات التاريخ الإنساني [١].

العناصر المشتركة بين الأديان:

بين العامري أن بين الأديان السابقة عناصر مشتركة وسمّى تلك العناصر المشتركة أركان الدين وهي أربعة:

١- الاعتقادات. ٢- العبادات.

٣- المعاملات. ٤- الحدود أو الزواجر.

وقرر أن هذه الأركان الأربعة لا يخلو منها دين من الأديان الستة السابقة فقال أن مدار الدين يكون متعلقا بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر فغير بعيد أن يعلم العاقل بأدنى الرؤية أنه ليس ولا واحد من الأديان الستة التي لها خطط وممالك وهي المذكورة بقوله تعالى: (إِنَّ الذين آمَنُواْ والذين هَادُواْ والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إِنَّ الله يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة) (الحج، آية١٧)

(١) في الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا د.محفوظ علي عزام ص٧٧.

إلا وله اعتقاد بشيء يجري سعيه إليه،ومنهج في العبودية يتحرى بالتزامه إقامة الطاعة، وأوضاع في المعاملات ينظم بها معاشهم ورسوم في المزاجر يتحصن بها عن البوائق والأشرار(١).

قواعد المقارنة:

قال العامري إن تبيان فضيلة الشيء عن الشيء بحسب المقابلات بينهما قد يكون صوابًا وقد يكون خطئًا.

وصورة الصواب معلقة بشيئين:

أحدهما ألا يقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة أعني ألا يعمد إلى شرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك والآخر ألا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق غير مستفيضة في كافتها فينسبها إلى جملة طبقاتها.

ومتى حافظ العاقل في المقابلة بين الأشياء على هذين المعنيين فقد سهل عليه المأخذ في توفية حظوظ المتقابلات وكان ملازما للصواب في أمره (٢).

واضح من كلام العامري المذكور أن للمقارنة **قاعدتين هامتين** بهما تكون المقابلات أو المقارنات صحيحة وهما:

القاعدة الأولى: المقابلة أو المقارنة لا تكون إلا في الأشكال المتجانسة أو العناصر المتشابهة في الأديان فالأصل لا يقارن إلا بالأصل والمهم لا يقارن إلا بالمهم فقط فلا يجوز مقارنة الأصل بالفرع.

القاعدة الثانية: المقارنة تكون على المبادئ المقبولة لدى جمهور كل دين من الأديان فلا يجوز الأخذ برأي فرقة واحدة منه على أنها تمثل أهل ذلك الدين جميعًا فلا يجوز مقارنة الإسلام بغيره من الأديان على أساس تعاليم الباطنية لأنها مرفوضة لدى جمهور المسلمين (٣).

---

(١) الإعلام بمناقب الإسلام للعامري، ص١٢٣-١٢٤ نقلا عن كتاب في الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا د.محفوظ علي عزام ص٧٨.

(٢) في الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا د.محفوظ علي عزام ص٨١، الإعلام بمناقب الإسلام للعامري ص١٢٧.

(٣)في الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا د.محفوظ علي عزام ص٨١.

مجال المقارنة في الأديان عند العامري هو العناصر المشتركة أو الأركان الأربعة وهي:

١- العقائد. ٢- العبادات.

٣- المعاملات. ٤- الحدود أو المزاجر.

وأضاف إلى هذه المجالات مجالات أخرى وهي الفضيلة بحسب الملك والرعاية والأجناس والثقافة [١].

٢- منهج الدكتور رفقي زاهر في كتاب قصة الأديان دراسة تاريخية مقارنة:

يبدو من عنوان الكتاب أن دراسة الدكتور رفقي زاهر ليست فقط مقارنة ولكنها تاريخية أيضا بالإضافة إلى ذلك محاولته للرد على أصحاب الأديان الأخرى.

ولا شك أن الدراسة مثل هذه تحتاج إلى أجزاء كثيرة من الكتب لأنها تاريخية ومقارنة وردود على أصحاب الأديان الأخرى والحقيقة أن الدكتور رفقي زاهر تناول هذه الدراسة بتقديم الملامح العامة لكل من اليهودية والنصرانية وطرف من الأديان الوضعية أنها دراسة سريعة كما قال في مقدمة كتابه الأديان التي وردت في دراسته للمقارنة:

١- اليهودية. ٢- النصرانية. ٣- الإسلام.

ومن الأديان الوضعية:

١- البرهمية. ٢- البوذية.

ومن النزعات الفكرية:

١- الفيثاغورية. ٢- الرواقية. ٣- الأبيقورية.

مجال المقارنة: المقارنة بشكل عام في ثلاث مجالات أساسية هي:

١- مجال العقيدة. ٢- مجال الشريعة.

٣- مجال الأخلاق. ٤- مجال مقاييس المفاضلة بين الأديان.

ذكر الدكتور رفقي زاهر مقاييس المفاضلة التي جرت بين المفكرين والباحثين والصوفية وهي:

---

(١)في الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا د.محفوظ علي عزام ص٨٢.

العقليون يفاضلون بين الأديان على أساس ما فيها من حقائق فأكثر الأديان اشتمالاً على الحقائق هو أكثرها حظًا من الفضل، والعلماء يفاضلون بينها على أساس ما فيها من المعارف العلمية، والصوفية يقيسون فضل الدين بما فيه من المواجد الروحية، والبرجماتيون يقيسون فضل الأشياء بما فيها من النفع العلمي وعلى هذا سيكون أفضل الأديان هو أكثرها نفعًا للناس وحثًا على العمل.

وهذا الاتجاه قد تحدث عنها الفيلسوف ابن رشد الذي حدد وظيفة الدين الأساسية وهي حث الناس على الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة التي تحقق لهم السعادة في الدارين، وعلى هذه الوظيفة المذكورة ذهب الدكتور رفقي إلى أن أفضل الأديان هو ما كان بنصوصه وطقوسه أكثر نهوضًا بهذه الوظيفة الجوهرية الخالدة [١].

ورأى أن الباحث يمكنه أن يستخدم في المقارنة كل المقاييس التي من شأنها إظهار امتياز دين على آخر دون أن يقف عند مقياس بعينه.

وعلى هذا الرأي قام بالمقارنة بين الإسلام وكل من اليهودية والمسيحية.

طبيعة دراسته:

تختلف دراسة الدكتور رفقي عن الدراستين السابقتين في طبيعة الدراسة فدراسته ليست مقارنة فقط ولكنها مقارنة وردود على أصحاب الأديان وعلى اليهود والنصارى خاصة وكتب في دراسته في المبحث الثاني من الفصل السادس موضوع قضية التحريف في العهد القديم والعهد الجديد وقسم التحريف الموجود في العهدين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التحريف بالتبديل.

القسم الثاني: التحريف بالزيادة.

القسم الثالث: التحريف بالنقصان.

والتحريف هنا هو التحريف اللفظي.

والتقسيم المذكور نقله عن كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي.

والمناهج المذكورة وهي منهج العامري ومنهج أحمد شلبي ومنهج د.رفقي زاهر أوردناها على سبيل المثال وليس للحصر لأن هذا ليس لنا إليه سبيل ولا

(١) د. رفقي زاهر، الأديان دراسة تاريخية مقارنة، ص٢٩٦-٢٩٧.

شك في أهمية دراسة المناهج التي خلفها لنا العلماء في هذه الدراسة بالإضافة إلى ذلك مناهج المستشرقين لمعرفة العناصر المفيدة فيها والمضرة.

وبدراسة مناهج هؤلاء الباحثين نستطيع أن نستفيد منها لتطوير دراساتنا في علم الملل والنحل مستقبلا إن شاء الله.

٣- المنهج التحليلي النقدي:

للنقد قواعد منهجية وضوابط حددها علم مناهج البحث، وقد اهتم المسلمون بدراسة الملل والنحل دراسة نقدية منهجية في كثير من أعمالهم العلمية التي حللوا فيها جانبا معينا أو جوانب من ديانة أخرى تحليلا نقديا ويمكننا أن نعطي نموذجا لهذا النوع من دراسة الأديان بدراسة ابن حزم الأندلسي لنصوص العهدين القديم والجديد، ودراسة أبي حامد الغزالي لدعوى تأليه المسيح عليه السلام، وكذلك تحليل المسلمين النقدي لدى التثليث والصلب والقيامة والخطيئة الأصلية والكفارة في المسيحية والتناسخ في أديان الهند والنسخ في اليهودية ولجوانب مهمة في الزرادشتية والمانوية....الخ.

لقد خصص ابن حزم مساحة كبيرة من مؤلفه "الفصل في الملل والآراء والنحل" لدراسة نصوص الأسفار الخمسة أو التوراة درس ابن حزم هذه الأسفار الخمسة دراسة وثائقية، وحللها تحليلا نقديا منهجيًا، فقد قام بعمل استقراء تاريخي دقيق استهدف به فحص الظروف العامة والملابسات الخاصة التي أحاطت بكتابة هذه الأسفار، ليعرف واقع هذا المتن في حد ذاته ؛ ليصل إلى الحكم على هذا النص أو هذه الوثيقة.

لقد تشكل منهج ابن حزم التحليلي من النقد الخارجي، أو بحث السند والرواية، ومن النقد الداخلي أو فحص متن النص أي المحتوى، ويعد ابن حزم الأندلسي أول باحث فيما نعلم يدرس العهد القديم عموما والأسفار الخمسة خصوصًا دراسة تحليلية نقدية، ويوظف فيها هذا المنهج الرصين ولذا فلا غرابة أن يلقبه الأستاذ (بنار دي لابوليه) برائد هذا النوع من الدراسات في الفكر الإنساني كله.

وقد كانت نظرية ابن حزم سهلة واضحة أقرب إلى الحقيقة البديهية التي لا تختلف العقول حولها، إذ بحث الظروف العامة والخاصة لوضع التوراة الأسفار الخمسة ؛أي أنه سيشرح موقف بني إسرائيل –عبر تاريخهم من التوراة

ومدى عنايتهم بها، ومن كان يقوم على حفظها من بينهم وأين كانت تحفظ، وهل كانت نسخها منتشرة ذائعة عامة في بني إسرائيل، أم كانت محدودة الانتشار وهل نقلت من جيل إلى جيل نقلا متواترًا؟

كل ذلك منذ أيام موسى عليه السلام – الذي تنسب إليه هذه الأسفار على أنه هو كاتبها أو متلقيها وحيا سماويًا– إلى آخر دولة بني إسرائيل ودخولهم عصر الشتات أو (الديسبورا).

وغرض وهدف ابن حزم أن يضع أيدينا على برهان حاسم خلاصته أن الظروف التي مرت بها التوراة الأصلية – عند بني إسرائيل– كانت مناسبة جدا بل كانت أنسب ظروف يمكن للتوراة بل ينبغي لها أن تحرف وتبدل وتغير وتزيف.

ويفحص المتن أو محتوى الوثيقة وينقده نقدًا داخليًا، مرتكزًا على أصول منهجية لا يختلف عليها دارسان مثل: التناقض الذاتي، ومناقضة بديهيات العقول، ووقائع التاريخ الثابتة، ومقررات الواقع الملموس.

وقد انتهى ابن حزم من خلال الدراسة التحليلية النقدية إلى نتيجة عبر عنها بقوله "إنها تاريخ مؤلف" ألف بعد موسى بقرون عديدة "وأن كتاب موسى كان يقرأ في مجلس واحد...الخ ".

ولقد جاء الحبر اليهودي إبراهيم بن عزرا الغرناطي– بعد ابن حزم– بمائة سنة وذكر بعض ما وصل إليه ابن حزم، ثم جاء الفيلسوف اليهودي الكبير باروخ سبينورا – بعده بستة قرون– وذكر نفس نتائجه بألفاظها وحروفها. (١).

رابعاً: منهج الحوار والرد والمجادلة والنقاش:

من وقت مبكر عرف الفكر الإسلامي هذا اللون من الدراسة للملل والنحل والأديان وقد أخذ ألوان وأشكالا وتوجهات متعددة من أهمها:

المناظرات الحية التي كانت تتم في مجالس عامة أو خاصة بين علماء مسلمين وغير مسلمين من أصحاب الملل المختلفة،وقد كان هذا الشكل مناسبًا لطبيعة ذلك العصر وإمكانياته المتاحة ورغبة الناس آنئذ، وهذا دليل على سماحة الإسلام وأهله، ومع ذلك فإننا لا نتوقع أن تتمخض تلك المناظرات العلنية عن

(١) انظر بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٤٨.

نتائج ملموسة ؛ لأن هدف الطرفين غالبا ينصرف إلى الغلبة والانتصار بالأساليب الجدلية على حساب الإقناع والاقتناع.

ولقد سجل تاريخ الفكر الإسلامي نوعًا آخر من الحوار بين علماء الإسلام وعلماء الأديان الأخرى، **وقد كان حوارًا مكتوبا في رسائل أو في كتب،** ويمكننا أن نشير في هذا الصدد إلى رسالة راهب دير كلوني في جنوب فرنسا إلى أمير سرقسطة في الأندلس، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، وإلى تلك الرسائل الشهيرة المتبادلة بين عبد المسيح والهاشمي، وإلى رد ابن كمونة اليهودي على كتاب سموآل بن يحى المغربي، ثم رد ابن المحرومة المسيحي على ابن كمونة اليهودي، وإلى سلسلة ردود أبي زكريا يحى بن عدي على رسائل الكندي الفيلسوف وأبي عيسى الوراق، وإلى ردود القرافي وابن تيمية على سؤالات بولس الراهب، وإلى رد رحمت الله الهندي على الدكتور فندر... إلى غير ذلك من حوارات وردود مدونة [١].

وهناك نوع ثالث من هذه الردود يتمثل في تلك **الدراسات الجدلية،** والدراسة الجدلية هي تلك الدراسة المقارنة التي حاول فيها الباحث الرد على الموضوعات التي أجرى عليها المقارنة وإظهار بطلانها بالنسبة لما يدين به الباحث في عقائد أصحاب الأديان الأخرى.

فمن أقدم ما ذكرنا من المؤلفات الجدلية الخاصة بالمسيحية مثل " كتاب أبي عيسى الوراق للرد على فرق النصارى الثلاث"، ورسائل الجاحظ " المختار في الرد على النصارى" وبعض مؤلفات أبي الحسن الأشعري المفقودة مثل كتاب الفصول وقد وصفه ابن عساكر بأنه يشتمل على اثنى عشر كتابا رد فيه الأشعري على البراهمة واليهود والنصارى والمجوس، كما ألف كتابا آخر فيه بيان مذهب النصارى، وكاتبا ثالثا يحتج عليهم من سائر الكتب [٢].

وجاء بعد الأشعري باحثون كثيرون منهم:

١- ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ) الذي ألف كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، ويعتبر هذا الكتاب من أعظم ما ألف من الكتب الجدلية في

(١) انظر بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٤٨، ٤٩.

(٢) انظر الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للغزالي تحقيق د.عبد العزيز عبد الحق حلمي ص٧٨.

الأندلس ويقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء من القطع الكبير يشتمل الأول منها على فصل عن النصارى وفرقهم ص٤٧-٦٠، تتلوه فصول كثيرة في نقد أسفار العهد القديم من ص٨٢ إلى آخر الجزء الأول في ص١٦٦.

وتناول ابن حزم في الجزء الثاني الكلام على الأناجيل من ص ٢ إلى ص٧٠، وتدل هذه الفصول على أن ابن حزم درس أسفار العهدين القديم والجديد دراسة دقيقة، كما أن نقده لها هذا النقد المنهجي جعله أول واضع للدراسة النقدية لنصوص الكتاب المقدس، تلك الدراسة التي ظهرت بوادرها في أوربا في القرن السابع عشر وازدهرت في القرن التاسع عشر [١].

٢- الإمام الغزالي رحمه الله ألف كتاب (الرد الجميل) رد فيه على النصارى وقد حقق الكتاب وعلق عليه وقدمه الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمي الأمين المساعد سابقا لمجمع البحوث الإسلامية.

٣- تقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) صاحب كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح في أربعة أجزاء.

٤- ابن قيم الجوزية (ت٧٥٦هـ) ألف كتاب هداية الحيارى من اليهود والنصارى[٢].

ومن الكتابات الجدلية كذلك: تلك الروائع التي دونها المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى، مثل: كتابي علي بن ربّن الطبري الدين والدولة، والرد على فرق النصارى، وعبد الله الترجمان في تحفة الأريب، ونصر بن يحى في النصيحة الإيمانية، والسموأل بن يحى في إفحام اليهود، عبدالأحد داوود في كتاب محمد في الكتاب المقدس...وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن الكتابات الجدلية في الفكر الإسلامي خاصة التي دونها المهتدون إلى الإسلام، تميزت بمزايا عديدة منها:

أن كثيرا من هؤلاء العلماء كان يترجم نصوص الأسفار المقدسة من اللغات الأخرى مثل العبرية والسريانية واليونانية ولا ينقل عن الترجمات العربية.

---

(١) انظر الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للغزالي تحقيق د.عبد العزيز عبد الحق حلمي ص٧٩-٨٠.

(٢)الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للغزالي تحقيق د.عبد العزيز عبد الحق حلمي ص٧٤.

كما أن بعض هذه الكتابات قد تميز بالدقة والعمق وحسن التنظيم وسلامة العرض كما أنها قد لفتت انتباه المسلمين إلى مسائل مهمة في الحقل، ومن أجل ذلك احتفى كبار علماء المسلمين بهذه المدونات وأفادوا منها وشكلت لهم رافدًا أساسيًا وسدت لديهم نقصًا وخللاً، وقد كتب لبعض هذه الكتابات الذيوع والانتشار والقبول بين المسلمين عامتهم وخاصتهم مثل كتابات على بن ربّن الطبري والحسن بن أيوب التي شكلت مرجعًا مهمًا لكثير من علماء الإسلام الكبار مثل القاضي عبد الجبار وابن تيمية وابن القيم.

ويظن البعض أن دراسات المسلمين النقدية والجدلية للأديان كانت في عمومها– هجومًا على تلك الأديان، مبعثه التعصب الأعمى للإسلام وكراهية الأديان المخالفة والحقد عليها، والعمل على تحطيمها والتخلص منها بأية وسيلة متاحة لهم!!

وفي الرد على هذا الزعم نقول أن هذا التصور خاطئ من أساسه بل إنه إسقاط حالة أوربا المسيحية وموقفها من الأديان الأخرى على الإسلام والمسلمين؛ لأن الإسلام يقر بالتعددية الدينية (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (الكافرون٦) (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف٣، ١٠). كما أن الإسلام يضمن حرية الاعتقاد (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة٢٥٦).

وانطلاقا من ذلك ساد التسامح الدولة الإسلامية عبر تاريخها كله، وأمكن لأصحاب الأديان التعايش والاختلاط والحوار والنقاش والجدال الذي ضمنته وحرست حقوق الجميع دولة مؤمنة، وهو ما تعجز عنه الدول العلمانية اليوم عجزا مخيفًا.

لقد كان أكثر دراسات المسلمين النقدية والجدلية للأديان الأخرى منهجًيا موضوعيًا ملتزمًا بالأصول والضوابط التي اصطلح عليها العلماء نظريا وتطبيقيًا ودليلي على ذلك أن حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب والدراسات النقدية الغربية للمسيحية واليهودية– وهي حركة علماء متخصصين مشهود لهم بالتبحر في علوم الكتاب المقدس والمسيحية واليهودية قد انتهت بعد طول بحث ودرس إلى ذات النتائج التي انتهى إليها المسلمون من قبل: ولأن المقام لا يتسع لنا فإنه يكفينا أن نشير إلى بعض هذه الدراسات النقدية مثل (رسالة سبينوزا في اللاهوت

والسياسة) ودراسات فلهوزن وريننان واستوك واستروك وهرناك وإيشهورن وغير ذلك كثير جدًا [١].

المبحث السادس: نشأة العقيدة الإلهية والرد على القائلين بتطور الدين.

الدين والتدين، قضية الكون الكبرى وقيمة الحياة البشرية الأولى، ولهذا كان البحث عن الدين، من أشرف مطالب النفس وأعلاها، وكان الوصول إليه مما تتطلع النفس الإنسانية إليه لإشباع رغبتها فى المعرفة، قال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ}[٢].

والمقصود بنشأة العقيدة: الصورة التي ظهر فيها الدين أول ما ظهر، أي: الأولية التاريخية المطلقة التي لا تتقيد بزمنٍ معين منذ أن دبت قدمَ الإنسان على ذلك الكوكب.

ومع أن الإيمان بالله تعالى فطرة إنسانية[٣]، لا تأخذ كثيرا من البحث والدراسة، إلا أن عمليات الاستبداد الكنسى، وفساد بعض رجال الكهنوت ومحاربتهم للعلم والعلماء، ومحاولة الاستخفاف بالناس بصكوك الغفران...وغيرها، أدت إلى قيام حركة علمانية، تمردت على الكنيسة، وأخذت تثير الشك فى الفكرة الدينية من

---

(١) راجع: بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٤٩، ٥٠.

(٢) سورة العنكبوت آية ٢٠.

(٣) لابد لنا هنا أن نفرق بين أمرين هما فطرية التدين، وفطرية التوحيد:

أما **فطرية التدين**: فقد اتفق علماء الأديان إلا من شذ منهم على أن التدين أمر فطري في الإنسان مركوز فيه، أي: أن الخضوع والتذلل والخوف من كائن أعلى موجود في النفس، ومحاولة إرضاء هذا الكائن، والتذلل له أمر غريزي يلبي نداء الفطرة، وكذا الإحساس الفطري على الحياة الآخرة، وأنها دار الجزاء لما قدم الإنسان من أعمال، كما أن الإنسان مدني بطبعه، فلا يستطيع أن يعيش بمعزل عن بني جنسه، بل لا بد من التعاون مع الجماعة.

وأما عن **فطرية التوحيد** موضوع هذا التدين أي: المعبود الذي تعلق به هذا التدين هل تعلق أول ما تعلق بالإله الواحد الموجد لهذا الكون، أم تعلقت هذه الغريزة بآلهة شتى؟ الطبيعة وما حوته من جمادات وحيوانات وأرواح، ثم تطورت إلى أن وصلت للإله الواحد.

أساسها، وأخضعت الدين وظاهرة التدين، للبحث والدراسة، شأنهما شان أية قضية اجتماعية أو علمية.

وقد أراد علماء الأديان أن يصلوا إلى جواب عن سؤالين:

أولهما:- متى بدأ الدين، ومتى نشأت العقيدة ؟

وثانيهما:- على أية صورة كانت هذه البداية الدينية للعقيدة الإلهية ؟

وهنالك تفسيران فى الإجابة عن هذين السؤالين:

الأول: التفسير التطورى، والثاني: التفسير الدينى.

أولًا: التفسير التطورى:

وقد نشأ هذا التفسير، على أثر انتشار النظرية التطورية الدارونية، فحاول فريق من علماء الأديان والاجتماع والفلاسفة، تطبيقها على نشأة العقيدة الإلهية، وتفسير هذا التطبيق: - أن الإنسان المعاصر، مر فى عصور سابقة عن هذه المرحلة الحاضرة، كان يعيش فيها قردا أو إنسانا أوليا، وسط الغابات وداخل الكهوف، يأكل الأعشاب واللحوم النيئة، ويعيش على طريقة بدائية، ومع مرور آلاف السنين وملايينها، تطور هذا الإنسان القديم، فهجر الغابات وسكن البيوت الحجرية، وأنشأ المدن والقرى، وكون اللغة، فانتقل بهذا إلى مرحلة جديدة من المدنية والتفكير.

وفى هذه المرحلة الجديدة من حياة الإنسان الجديد، نشأت فكرة العقيدة الإلهية، لأول مرة فى التاريخ البشرى، حيث بدأ الإنسان يتطلع إلى البحث عن الدين والإله بالتفكير والتأمل.

ويعزوا أرباب هذا التفسير، أسباب هذا التطلع والتفكير، إلى:

- ✓ **مبررات طبيعية**، أخذت تشد انتباه الإنسان الجديد، من أفلاك وأعاصير، وبرق ورعد، وطوفان وزلزال.
- ✓ وإلى **مبررات روحية**، من خوف وأشباح وأرواح.
- ✓ وإلى **مبررات أخلاقية**،من فضيلة واستحسان للحق والخير ونحو ذلك.
- ✓ وإلى **مبررات نفسية**،من ضعف ومن إحساس وجدانى بالتوجه نحو الخالق.
- ✓ وإلى **مبررات اجتماعية**، من شعور بالحاجة إلى القبيلة والمجتمع والوحدة والطاعة.

هكذا فسر هذا الفريق من علماء الأديان تاريخ نشأة العقيدة الإلهية، وأسباب هذه النشأة الدينية، ومع هذه **الاتفاق** فى الإجابة عن السؤال الأول، **إلا أنهم اختلفوا** فيما بينهم بعد ذلك فى الإجابة عن السؤال الثانى، وهو: على أى صورة كانت نشأة الدين والعقيدة منذ البداية، إلى مذهبين:-

١. المذهب الخرافى:-

ويرى أصحاب هذا المذهب كسبنسر، تايلور، فرايزر، دور كايم، أن صورة العقيدة الإلهية فى بدايتها، كانت تتمثل بالخرافات الساذجة، والوثنية المتعددة، تجسدت الإلهة فيها بصور من الجمادات والكائنات البسيطة، التى تتلائم مع عقلية الإنسان البسيط فى أول أطوار مدنيته، ثم أخذت فكرة الدين والعقيدة الإلهية، تتنامى وتطور نحو الكمال، بصورة تصاعدية، مع تطور علوم الإنسان ولغته وحضارته وحياته، إلى أن انتهت إلى فكرة الإيمان بالخالق الواحد والله الأعلى، واعتمد هؤلاء على بعض ما اعتمدت عليه نظرية دارون من اكتشافات ودراسات.

ب – المذهب الفطرى:-

ويرى أصحاب هذا المذهب ك لانج، شريدر، بروكلمان، لرواه، كاترفاج، أن صورة العقيدة الإلهية فى بدايتها، قامت على صورة (الإله الأكبر) الذى يمثل القاسم المشترك الأعلى بين الشعوب والأمم، فما من أمة إلا وعرفت فكرة الإله الأكبر، وهى عقيدة لم تنفك عنها أمة من الأمم فى القديم والحديث، فقد وجدوا هذه العقيدة وأثبتوها عند أقدم الأجناس البشرية، والقبائل البدائية، كالجماعات الهمجية فى أستراليا، والأقزام فى أواسط أفريقيا، والأجناس الآرية القديمة، والشعوب السامية قبل الإسلام.

ويقول أصحاب هذا المذهب، إن عبادة هذه الأمم والشعوب للأصنام والخرافات والأشياء، ليس إلا تجسيدا رمزيا فى الدلالة على الإله الأكبر. وهذا التوحد فى فكرة الإله الأكبر يعنى أن الإله الأعلى فطرة جامعة فى الأنفس الإنسانية.

"غير أنه مهما تفاوتت النتائج فى نظر المذهبين، فإنهما متفقان على موضوع البحث وعلى مناهجه" (١)، فالمذهبان يقومان على موضوع واحد وهو تطورية الدين، وعلى منهج واحد، وهو دراسة الشعوب البدائية والأمم الغابرة والمتخلفة، واستطلاع الحفريات والمعابد القديمة، وما خلفته الآثار والنقوش والمغائر، وما قرره بعض علماء النفس والاجتماع من دراسات للشعوب والقبائل وعاداتهم، وما قيل من أفكار فلسفية فى النظرية التطورية والتقدم الانسانى التصاعدى.

ثانيًا: التفسير الدينى:

ويقوم هذا التفسير على أن النشأة الأولى للعقيدة الدينية، بدأت مع بداية الحياة الإنسانية، فمنذ وجد آدم عليه السلام وجدت معه العقيدة الإلهية القائمة على الإيمان بالله تعالى إلها معبودا وربا مالكا.

وعلى هذا الرأى، تكون البشرية قد عرفت الإله الواحد، وتوجهت إليه واجتمعت عليه، منذ أول يوم وجدت فيه، وما العبادات الخرافية والممارسات الوثنية، إلا أعراض طارئة على الدين الصحيح، أصيبت بها بعض الجماعات، فى دروب من الغفلة والكسل العقلى، أو تتبع الشهوات وسيطرة الطغيان.

يرى أتباع هذه المذهب، أن هذه المسالة خارجة عن نطاق العلوم التجريبية أو الدراسات الكشفية والاجتماعية، لأنها قضية داخلة فى نطاق الغيب الذى لا يمكن معرفته إلا بطريق الوحى (٢).

ومع أن الكتب السماوية السابقة تعرض لنا العقيدة الإنسانية الأولى إلا أن الوحى الصحيح يتمثل فى القرآن الكريم لأنه أوثق كتاب سماوى بين يدى البشر.

فلابد من تمهيد فى معرفة الخالق لأنه مصدر الوحي فى بيان هذه القضية.

أولا: تمهيد بمعرفة الخالق: –

ومعرفة الله تعالى تكون بالصفات لا بالذات، وذلك لأن ذات الله تعالى توصف ولا تدرك، وليس غريبا أن يقال هذا الكلام، فقد أصبح رجال العلم يؤمنون بكثير من الحقائق عن طريق الأوصاف والآثار، من غير معرفة حقائقها

(١) الدين د. دراز ص١٠٨.
(٢) الدين د. دراز ص١١٣.

وإدراك ماهيتها، فالجاذبية، والمغناطيسية، والضوء، والكهرباء حقائق كونية يقف العلم عاجزا عن إدراك ماهيتها، ويكتفى فى البرهان على وجودها بالأوصاف والآثار والدلالات.

والروح والخوف والحب والحياء، من أكد الحقائق الكامنة فى الجسم الإنسانى، ومع هذا يقف الإنسان عاجزا عن إدراكها، أو استكشاف ماهيتها فى داخله، وإنما يكتفى دائما بالتعرف عليها عن طريق الوصف والعلامات والدلالات. بل أكد من هذا كله، العقل الانسانى، فهو حقيقة تميز الإنسان عن سائر المخلوقات الآخرى باختصاص الإدراك والتفكير، ومع هذا، فالعقل عاجز عن إدراك ذاته وإذا كان فى الإنسان ألف مجهول، فان عقله على رأس هذه المجهولات، ولايمكن لعالم أو طبيب التدليل عليه إلا بالآثار والصفات.

وإذا كان هذا هو الحال فى كثير من المخلوقات، فمن باب أولى، أن يكون خالق هذه المخلوقات، إلها فوق الإدراك والحس العقلى، فلا يعرف سبحانه إلا بالصفات النقلية أو العقلية، والدلالات البرهانية والوجدانية.

ثانيا: خلق الكون والإنسان: –

إن معرفة العقيدة الإنسانية الأولى، تستلزم الكشف عن أول مخلوق انسانى فى هذه الحياة، ثم معرفة العقيدة التى كان عليها هذا الإنسان فإذا وصلنا إلى أخبار قاطعة فى هذا، استطعنا أن نقرر النتائج باطمئنان.

أوضح الله تعالى بداية الخلق والتكوين فى قوله تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}[1] وقالى تعالى { ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[2] وقالى تعالى { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ }[3] ثم تواردت الآيات على خلق جزئيات الكون من شمس وقمر وجبال وبحار وأشياء.

(١) سورة السجدة آية ٣.
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٢.
(٣) سورة الأنبياء آية ٣.

ثم قص الله تعالى علينا بداية خلق آدم عليه السلام فقال { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ } [١] وقال تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ } [٢] وقال تعالى{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا [٣].

ثم حمله أمانة[٤] العقل وجعل له السمع والبصر والفؤاد قال تعالى { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ } [٥]وقال تعالى {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ }[٦].

ثم بين الله تعالى أن سلالة النسل البشرى قد تفرعت منه عليه السلام قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } [٧].

ثالثا: بداية العقيدة الإلهية الأولى:

اقتضت حكمة الله تعالى ألا يكون خلق آدم وذريته على هذه الأرض عبثا فقال{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا }[٨] والحياة الهادفة غير العابثة عند الله تعالى تعنى تكليف النفس البشرى من آدم وولده بالدين الواحد القائم على الإيمان بالله تعالى واستعمار الأرض بإقامة دينه عليها.

وقد بين الله تعالى هذا الدين بقوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا} [٩] وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ } [١٠] وقال تعالى {إِنَّ هَذِهِ

---

(١) سورة ص آية ٧١
(٢) سورة الروم آية ٢٠
(٣) سورة فاطر آية ١١
(٤) اختلف العلماء في المراد بالأمانة في هذه الآية على أقوال:أهي العقل ؟ أم التكاليف ؟ أم الأمانة بمعناها المعروف.
(٥) سورة الأحزاب آية ٧٢.
(٦) سورة النحل آية ٧٨.
(٧) سورة النساء آية ١.
(٨) سورة المؤمنون آية.
(٩) سورة الأعراف آية ١٧٢.
(١٠) سورة البقرة آية ٢١.

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }[1] وقال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ }[2] وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [3]

بعد هذا أوضح القرآن الكريم كيفية نشأة العقيدة الإلهية الأولى فقدم لنا فى آيات متعددة أن هذه العقيدة قائمة على عبادة الإله الواحد، وقد نشأت مع نشأة آدم عليه السلام وهو أول مخلوق بشرى وأن هذه العقيدة الإلهية لم يسر إليها آدم وإنما سارت إليه، وأنه لم يصعد إليها بل نزلت عليه وأنه لم يعرف ربه بنور التفكير بل بنور الوحى[4] والاصطفاء والاجتباء والعهد، قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ }[5] وقال تعالى {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ }[6] وقال تعالى { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ} [7] وقال تعالى { فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ }[8] وقال تعالى { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا }[9].

رابعا – تحريف العقيدة الإلهية:

ويوضح الآيات القرآنية أن الكفر بالله تعالى أو نشوء العبادات الخرافية أو تعدد الآلهة عملية طارئة على عقيدة آدم عليه السلام، قال تعالى {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا}[10].

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٢.
(٢) سورة الذاريات آية ٥٦.
(٣) سورة الأنبياء آية ٢٥.
(٤) لم يذكر القرآن الكريم لفظ النبوة بازاء آدم عليه السلام، كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الرسل والأنبياء، ولكنه ذكر أن الله تعالى خاطبه بلا واسطة وشرع له من خلال ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له بدون أن يرسل إليه رسولاً وهذا هو كل معاني النبوة، والتعبير بالاصطفاء والاجتباء والعهد تعني النبوة على رأي.انظر التفسير الميسر ٩،٦٨، ٤١٧، ٤١٨، قصص الأنبياء عبدالوهاب النجار ١٠
(٥) سورة آل عمران آية ٣٣.
(٦) سورة طه آية ١٢٢.
(٧) سورة طه آية ١١٥.
(٨) سورة البقرة آية ٣٧.
(٩) سورة البقرة آية ٣١.
(١٠) سورة يونس آية ١٩.

ويوضح القرآن الكريم أن هذا الاختلاف لم يكن إلا وليد ظروف طارئة كحاكم مستبد يفرض الضلال والطغيان، قال تعالى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا }(١)، وقال {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ }(٢).

وقد يكون هذا الانحراف وليد الغفلة والنسيان قال تعالى {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ* وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}(٣).

أو وليد التقليد والعادة العمياء قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }(٤).

وقد يكون وليد التحريف والتزوير فى الديانات والكتب السماوية السابقة قال تعالى فى بنى إسرائيل {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ }(٥) وقال فيهم أيضا {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}(٦) ويقول الله تعالى فى النصارى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ }(٧) وقال فيهم أيضا { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ }(٨) وقال {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ}(٩).

وقد يكون وليد التربية الخاطئة ففي "صحيح مسلم" عن عياض الْمُجَاشِعِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى: (إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا) (١٠)،وقد قال رسول الله ﷺ (كل

(١) سورة القصص آية ٤.
(٢) سورة طه آية ٧٩.
(٣) سورة يس آية ٦.
(٤) سورة البقرة آية ١٧٠.
(٥) سورة المائدة آية ١٣.
(٦) سورة البقرة آية ٧٥.
(٧) سورة التوبة آية ٣١.
(٨) سورة الحديد آية ٢٧.
(٩) سورة المائدة آية ٧٣.
(١٠) صحيح مسلم: كتاب الجنّة وصفة نعيمها رقم ٥١٠٩.

مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[1] وقال ﷺ أيضا (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[2].[3]

هكذا نشأ الكون والإنسان والدين، وهكذا كانت عبادة الله الواحد الأعلى بداية الدين كما كانت بداية البشر هي آدم وانسحب الدين على نسله بعهد من الله وميثاق، ومع مرور الزمن واختلاف الشعوب والقبائل، طرأ على العقيدة الإلهية بعض الخرافات والاختلافات.

نقد القائلين بتطور الدين

إذا كانت النظرية الفطرية قد التقت مع المذهب الدينى، فى أن الأمم بدأت دينها بعبادة الإله الأكبر، فإنها اختلفت معه فى المنهج والكيفية، لأن الطريق التى اعتمدت عليها، هى الطريق التى اعتمدتها النظرية التطورية، وهى الاكتشافات والحفريات والدراسات الاجتماعية.

وفى الاسلام مهما تقدمت الاكتشافات والحفريات فى أسلوبها ونتائجها، فأنها تظل على أبواب الظن والتغيير.

ولهذا يمكن نقد المذهبين على النحو التالى: –

أولا: إن الآثار الخاصة ببداية العصور الإنسانية الأولى لا تزال مجهولة أو غير كاملة. وعلى هذا فالخوض فى تفسيرها ضرب من التكهن والرجم بالغيب.

وأيضا: فى هذه الاكتشافات والحفريات لا تصلح لتفسير النشأة الدينية، وذلك لأنها فى صورة غير مستقرة نظرا للحفريات المستمرة والاكتشافات المتلاحقة التى تنقض بعضها بعضا أو تغيره أو تعدله، وهذا هو الذى يفسر لنا سر وجود نظريتين عند الغرب كلا منهما على النقيض من الأخرى فى تفسير نشأة الدين، وكل نظرية تدعى أن عمادها الكشوف والحفريات، فلو كانت الكشوف والحفريات تصلح دليلا علميا جازما ومنهجا راقيا من مناهج البحث لأدت على الأقل إلى وحدة بين النظريتين فى هذا الموضوع.

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين رقم ١٢٧٠.
(٢) مسند الإمام أحمد ج٢ ص ٢٠٣.
(٣) انظر دراسات في الثقافة الإسلامية،مجموعة من المؤلفين ص٣٩.

ثانيا: إن ديانات الأمم المنعزلة أو النائية لا تصلح أساسا تقام عليه نظرية تفسير الدين ونشأته، وذلك لأنه ليس بالضرورة أن تكون هذه ديانات منذ بدايتها على الحالة التى وجدها وتناولها هؤلاء الباحثون دون مرورها بأدوار متقلبة سابقة.

وقد أثبت التاريخ والمؤرخون أن فترات التقهقر والركود لكثير من الأمم قد سبقت بمدنيات زاهرة وكذلك العكس، فلا يمنع أن تكون أديان الخرافات قد سبقت بالدين الصحيح.

ثالثًا: إن هذه الدراسات قائمة على ملحوظات بعض الدارسين وقد تجاهلت رصيدا كبيرا من الآراء الأخرى، فما يقع عليه بعض علماء الأجناس أو الطبيعة، أو طبقات الأرض، ليس إلا بعض حلقات من التاريخ تسطيع أن تفسر البيئة التى وجدت فيها وملحوظاتهم عليها ملحوظات نسبية خاصة وليست عامة كاملة تمتد إلى غيرها من البيئات أو أراء العلماء الآخريين.

يقول د.محمد دراز:" إن طاقة البشر وطبيعة المخلوق أعجز من أن تحصى مراحل الأسباب والغايات وتتابع تسلسلها حلقة حلقة حتى تشهد بداية العالم ونهايته، وكان قصارها أن تخطوا خطوات ممدودة إلى الأمام أو إلى الوراء، تاركة ما بعد ذلك إلى ساحة الغيب التى يستوى فى الوقوف دونها العلماء والجهلاء " (١).

رابعًا: إن العلوم العقلية والدراسات الاجتماعية والتحليلات النفسية لا يمكنها الوقوف على أصول الدين ونشأته الأولى، وذلك لأن الأديان وحقائق الغيب ليست موضوع هذه العلوم وإنما موضوعاتها تنحصر فى دراسة قيمة الأديان وآثارها النفسية على الأفراد والجماعات وحتى فى هذا الإطار فهى دراسات خاوية أفرزتها عقول صدت عن ذكر الله تفتقر إلى القيم الموضوعية وقد قامت على أيدى طبقة لا تسطيع الجزم بحيادها أو موضوعيتها، وسر غاياتها من تلك الدراسات.

وذلك لأن العلوم العقلية والطبيعية العملية والنظرية فى استقصاء البحث عن أصول الأشياء أو بدايتها تنتهى دائما بالانتصار لقضية الغيب وتفسح المجال

(١) الدين د.محمد دراز ص١٠٥.

لبقاء الأديان وخلودها، وأن التحليلات النفسية المحايدة تنتصر لأهمية الدين وتؤكد بقاؤه واحترامه فى الحياة.

خامسا: أما ما زعمته النظرية من قياس الدين على ترقى الحضارات والمدنيات، أو التدرج العلمى من النقص إلى الكمال، أو بالقياس على الفن والصناعات، التى بدأت بسيطة ثم تكاملت مع الأيام والسنين، فان هذا القياس يحمل فى ذاته بطلان ما يزعمون.

ففى مجال المدنية والحضارة، نجد الإنسان البسيط القابع فى كهف أو فى جبل أو قرية، أقرب إلى التدبر فى آلاء الله، وأن حياته البسيطة غير المعقدة، قد تترك له أثرا للتفاعل مع الله وإرهاف الحس الدينى وإتقاد المشاعر الروحية، بينما نلحظ أن كثيرا من الممم حين ترقت فى مدنياتها انحدرت إدراكا فى الدين والأخلاق وتوغلت فى الإلحاد وتعلقت بترف الحياة المادية، وهذا يثبت التناسب العكسى وليس الطردى كما يزعمون.

وبمثل ذلك نقول فى الصناعات والفنون فلم تتدرج من الخرافة الصناعية المتعددة حتى وصلت فى الرقي إلى الوحدة. وإنما نجد أن الآلهه بدأت واحدة ساذجة متحدة متجانسة، ثم انتقلت هذه الألهه بالتدريج إلى مراحل التعقيد والتعدد والتنويع، وكذلك الفن فقد بدأ متحدا بصورة ساذجة فى لون واحد ثم انتقل إلى مراحل الابتكار والتعدد والألوان المختلفة المتعددة مما يثبت خطأ عكس قياسهم بل ضده.

فأنت ترى أن قياس التطورية الدينية على ترقى المدنيات والصناعات والفنون يجعل الدائرة تدور على رأس قائلها فيقتضى بأن يكون الدين قد بدأ بالفكرة الواحدة المتجانسة، ثم انتقل إلى مراحل التعدد والتفريع والتكاثر، وفات هؤلاء كما يقول العلامة الدكتور دراز – خلافا للأستاذ العقاد [1] إن حقائق

(١) كتب العقاد كتابًا عن نشأة العقيدة أسماه (الله) تفاجئك مقدمته بهذه العبارة: " موضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الإلهية منذ أن اتخذ الإنسان ربًا إلى أن عرف الله الواحد، واهتدى إلى نزاهة التوحيد"

وكذلك يقول العقاد: "ترقى الإنسان في العقائد، كما ترقى في العلوم والصناعات، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه، وصناعته، فليست أوائل العلم

العلوم وتطورها لا تقاس بالأديان وذلك لأن العلوم ثروة واسعة ترحل النفس فى طلبها واكتشافها وتطلب مثابرة واستعانة متصلة " بينما حقيقة الدين توجد عناصرها قارة بين الجوانح وتعرض دلائلها لائحة أمام الحس فبالتفاته يسيره يظفر العاقل بالرؤيا الإلهية بخلاف العلوم التجريدية" (١).

سادسا: من المبررات التى استندت إليها الفلسفة التطورية فيما انتهت إليه، ذلك الاختلاف فى الأديان بين الشعوب وعدم اتفاق هذه الأمم على دين واحد أو عقيدة واحدة(٢)، ونقول: إن هذا الاختلاف فى نوع العقيدة لا يدل على التطورية بقدر ما يدل على أن الدين يمثل الفكرة الجامعية فى حياة الأمم جميعا ويؤكد أن الإنسان فطر على حب التطلع الدينى، وأنه كائن متدين بطبعه يبحث دائما عن الإله.

على أن النظرية التطورية فى الخلق التى بنيت عليها نظرية التطور فى الدين، أصبحت اليوم فى عداد النظريات الساقطة.

وهكذا تتساقط مزاعم الأفكار الوضعية فى الكشف عن العقيدة الدينية ونشأتها الأولى، ويبقى الدليل القرآنى الذى يفسر لنا منابع هذه العقيدة وبدايتها مع بداية أول مخلوق بشرى فى الأرض وهو آدم عليه السلام، بموجب كونه نبيا مفطورا على التدين، وبموجب العهد الالهى بين الله وبين ذريته، وما كان دور الرسل والأنبياء على مر العصور، إلا لتصحيح هذه الفطرة وترشيدها وهدايتها إلى الطريق الصحيح.

والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات، وليست عناصر الحقيقة في واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى ".

ويقول " ينبغي أن تكون محاولات الانسان في سبيل الدين أسبق وأطول من محاولاته في سبيل العلوم والصناعات لأن حقيقة الكون أشق مطلبا وأطول طريقاً".

(١) الدين د.محمد دراز ص١١٠.

(٢) انظر دراسات في الثقافة الإسلامية،مجموعة من المؤلفين ص٤٢.

أهــم المراجع

- الأديان الوضعية والمذاهب جامعة المدينة العالمية ٢٠١٠م.
- أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام د. سميح دغيم، ط١ دار الفكر اللبناني بيروت ١٩٩٥م.
- أضواء على النصرانية تاريخها وعقيدتها د.طلعت غنام، دار الطباعة المحمدية
- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، شمس الدين القرطبي، د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي – القاهرة بدون
- الأعلام للعامري، مقدمة الدكتور أحمد عبد الحميد غراب للكتاب، دار لأصالة بالرياض.
- بحوث في مقارنة الأديان د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الفكر العربي ٢٠٠م
- بين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب، دار الفكر بيروت ط١، ١٩٧٢م.
- تاريخ المناهج الإسلامية – موسوعة الحضارة الاسلامية د. أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية ط٩ ١٩٩٣م.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أومرذولة لأبي الريحان البيروني، ط عالم الكتب.
- التعريفات للجرجاني، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد سنة ١٩٩١م
- التفسير الإسلامى للجاهلية، د. نوح الغزالي.
- تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ١٩٦٧هـ
- جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، دار المعرفة بيروت، ط٢ ١٩٧٢ م
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢ ١٩٦٤ م.
- جهود القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان حمدي الشرقاوي رسالة ماجستير جامعة عين شمس ١٩٩٦م
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،أو عصر النهضة في الإسلام، آدم متز، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، دار الفكر بيروت ١٩٨٣م
- دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة من المؤلفين، مكتبة الفلاح، ١٩٨٠م.
- دراسات في الدين، بحوث ممهدة لدراسة الأديان د/ محمود مزروعة.
- دراسات في الملل والنحل د. حامد الخولي بدون.
- دراسات في النصرانية د.محمود محمد مزروعة

- درسات في اليهودية د. محمود مزروعة
- الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز، مكتبة المجلد العربي.
- الدين والعلم أحمد عزت باشا، تحقيق: عبد الوهاب عزام ط ٢٠١٢م
- الدين والوحي والإسلام، للشيخ مصطفى عبد الرازق.
- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للغزالي تحقيق د.عبد العزيز عبد الحق حلمي، الطبعة الأزهرية ١٩٧٣م
- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للغزالي، تحقيق وتعليق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي تحقيق مصطفى عبد الواحد – وآخرون ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- شرح العقائد العضدية لجلال الدين الدوَّاني.

- الشريف **الجرجاني** حياته وجهوده فى علم الكلام، أ.د/ إبراهيم أحمد محفوظ، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٨٨م.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم محمد خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ١٩٨٥م.
- العقيدة في الإسلام منهج وحياة د. السيد رزق الطويل ط. وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ٢٤٥ لسنة ١٩٨١م.
- علم الملل والنحل مصطلحات علمية وتطبيقات واقعية أ.د محمد شلبي شتيوي.
- علماء المسلمين وقضية المنهج د. دين محمد، المجلة الحولية للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، عدد ٣، سنة ١٩٩٥م.
- العلمنة والدين: الإسلام المسيحية الغرب، محمد أركون دار الساقي لندن ١٩٩٠م.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، د. محمد إبراهيم نصير و د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ١٩٩٦ م.
- في الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا د.محفوظ علي عزام.
- القاموس القويم للقرآن الكريم إبراهيم أحمد عبد الفتاح، دار الكلمة للنشر والتوزيع ٢٠٠٦م.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف:محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ.

- قصة الأديان دراسة تاريخية مقارنة، د. رفقي زاهر، دار المطبوعات الدولية ط١ ١٩٨٠م.
- كبرى اليقينيات الكونية: وجود الخالق و وظيفة المخلوق، د.محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكر المعاصر ط٨، ١٩٨٢م.
- لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف.
- الله –كتاب في نشأة العقيدة الإلهية–، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ٢٠٠٩م.
- محاضرات في الفرق الإسلامية، أ.د / محمد شلبي شتيوي بدون
- محاضرات في النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٨٧م.
- محمد رسول الله سيرته وأثرة في الحضارة، جلال مظهر، مكتبة الخانجي بمصر.
- مختار الصحاح،محمد بن أبي بكر الرازي، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
- المختار من كنوز السنة، د. محمد عبدالله دراز، عُني بنشره. عبدالله بن إبراهيم الأنصاري. مدير الشئون الدينية– دولة قطر ١٩٧٧م.
- مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ٢٠٠٣م.
- المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، عبدالرازق محمد أسود، دار الميسرة ١٩٨١م.
- المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب د.محمد بن فتح الله بدران.
- مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية د. حامد طاهر.
- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٩٧٩ م
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق: محمد سيد كيلاني دار المعرفة ١٩٦١م
- مقارنة الأديان بين الإسلام واليهودية د.عوض الله حجازي.
- مقارنة الاديان، اليهودية د/أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٨م.
- الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه، ١٩٦٨م.
- منهج ابن حزم في مقارنة الأديان د. محمود علي حماية، دار المعارف ١٩٨٣م
- المواقف في علم الكلام للإيجي

- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث.
- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء د. رؤوف شلبي، دار الاعتصام بالقاهرة، ١٩٨٠م.
- اليهودية والمسيحية في ضوء الفكر الإسلامي د. عبد السلام محمد عبده.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٨٠٥
الفصل الأول: التعريف ببعض المفاهيم الإصطلاحية لعلم الملل والنحل. ٨٠٧
المبحث الأول التعريف بالملة. ٨٠٩
المبحث الثاني: التعريف بالنحلة. ٨١٢
المبحث الثالث: التعريف بالدين. ٨١٥
الفرق بين الدين والملة: ٨٢١
تصنيف الأديان ٨٢٣
وحدة الدين ٨٣٠
المبحث الرابع: التعريف بالإسلام. ٨٣٧
المبحث الخامس: التعريف بالعقيدة. ٨٤٠
المبحث السادس: التعريف بالشريعة. ٨٤٦
أما الفرق بين الدين والشريعة والمنهاج ٨٥٠
المبحث السابع: التعريف المذهب. ٨٥٣
الفصل الثاني: مقدمات ومبادئ في علم الملل والنحل. ٨٥٥
المبحث الأول: علم الملل والنحل نشأته وصورته. ٨٥٧
المبحث الثاني: من فوائد دراسة علم المِلل والنحل. ٨٦٥
المبحث الثالث : حكم تعلم علم المِلل والنحل. ٨٧١
المبحث الرابع:حاجة الإنسان إلى الدين. ٨٧٧
المبحث الخامس: مناهج دراسة الملل والنحل. ٨٩١
المبحث السادس: نشأة العقيدة الإلهية والرد على القائلين بتطور الدين. ٩١٠
المراجع ٩٢٢
فهرس الموضوعات ٩٢٦